الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
المركز الجامعي الونشريسي تيسمسيلت
معهد الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي القديم
الموسومة ب:

البناء الفني للقصيدة عند المتنبي بين النزعة العقلية والنزعة الفنية

إعداد الطالبتين:

- مزاري رشيدة
- قصري لامية

إشراف الأستاذة:

* يعقوبي قدوية

أعضاء اللجنة المناقشة

د/ شريط نورة	م ج تيسمسيلت	رئيسا
د/بناني شهرزاد	م ج تيسمسيلت	عضوا مناقشا
د/ يعقوبي قدوية	م ج تيسمسيلت	مشرفا و مقررا

السنة الجامعية:
1437هـ-1438هـ 2016م-2017م

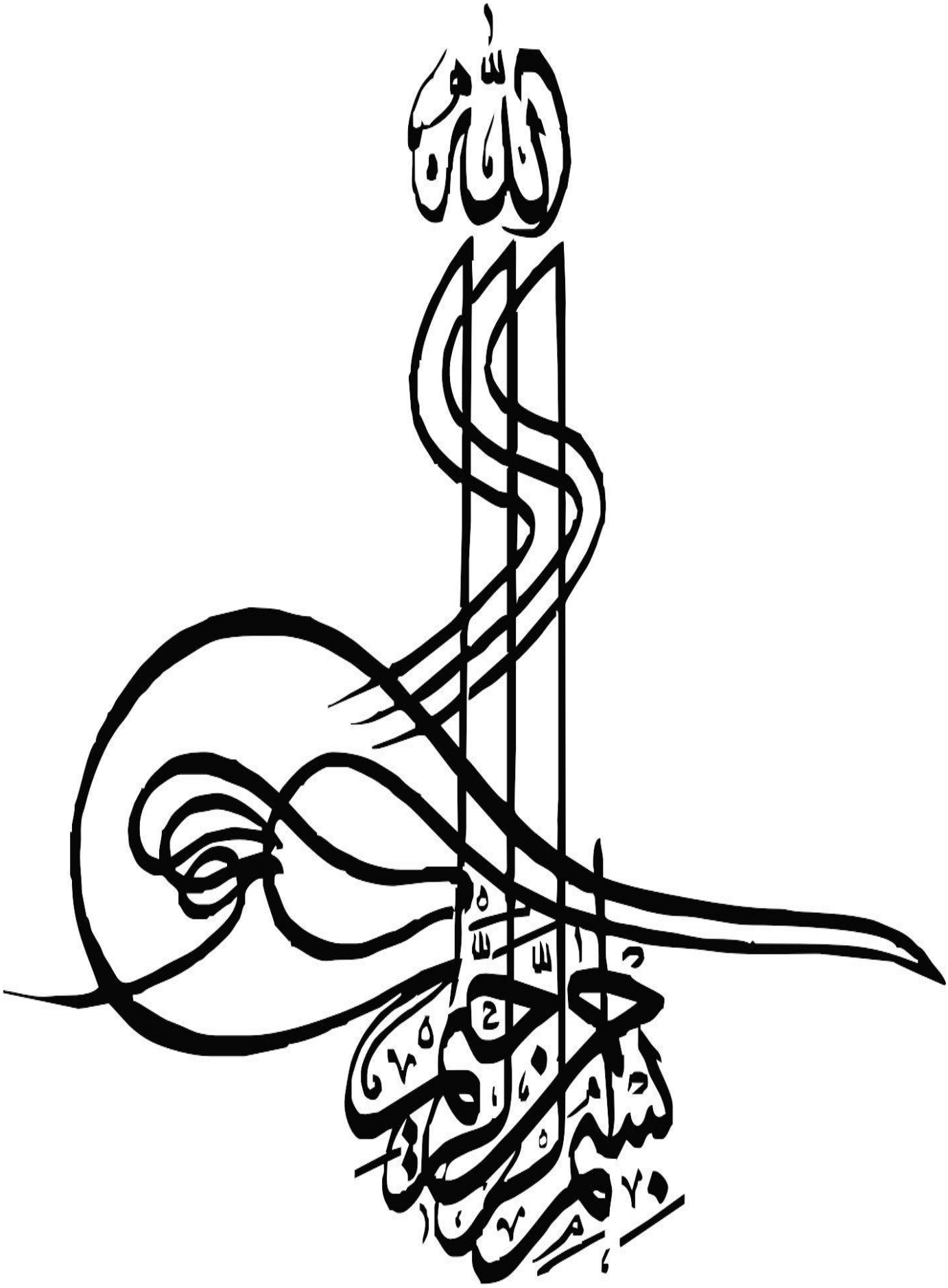
الله
بسم الله

شكر وعرفان

﴿ وقل ربّ أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا﴾الإسراء ،الأية 80.

قبل كل شيء نحمد الله عز وجل الذي أنعمنا بنعمة العلم ووفقنا إلى بلوغ هذه الدرجة ونقول ً اللهم لك الحمد حتى ترضى ،ولك الحمد بعد الرضاً.

نتقدم بالشكر الجزيل إلى أستاذتنا الفاضلة "يعقوني قدوية" التي رافقتنا طيلة العام الدراسي وعلى المجهودات التي بذلتها معنا وعلى توجيهاتها القيمة طيلة فترة تأ طيرها .كما نتقدم بالشكر الجزيل للأستاذ "خلف الله" على مساعدته لنا في تحضير هذه الرسالة .كما لا ننسى شكرنا وتقديرنا الكبير لمكتبة الحكمة "لخضر" و"حكيم".

وفي الأخير نشكر كل من ساعدنا في انجاز العمل من قريب أو بعيد.

إهداء

إلى كل من نطق بكلمة التوحيد لسانه وصدقها قلبه ، إلى كل من صل على خير البرية محمد

عليه الصلاة والسلام إلى من أوقدت عيناها قناديل أضاءت دربي وفي كل مرة طرقت فيها بابي التي حملتني وهنا على وهن جنينا وعلمتني صغيرة ورافقتني بدعائها كبيرة إلى ينبوع الحنان أمي الغالية.

إلى روح والدي العزيز رحمه الله.

إلى من فاقت فضائلهم أرقام العد وكانت يدهم مبسوطة للمد. فتثاقلت دموعي حيرة في الرد وأبت نفسي إلا أن تنحي خجلا من بقي من أمر إلى إخوتي وأخواتي .

إلى من أحببتهم بإخلاص وبادلوني نفس الشعور. إلى التي رافقتني في إنجاز هذا العمل.

إلى كل هؤلاء أهدي هذا العمل المتواضع.

رشيدة

إلى طلاب العلم .

إلى أجيال المستقبل .

إلى مثلي الأعلى في الوجود ،واغلي الناس على قلبي الوالدين الكريمين .

إلى إخوتي وأخواتي الأعزاء .

إلى كل من أسهم في هذه اللحظة التي ألهمتني هذه الكلمات وأمدتني بحرف أنفع به نفسي وأمتي .

إلى التي رافقتني وكانت خير سند لي في إنجاز هذا العمل المتواضع .

إلى صديقاتي العزيزات .

أهدي هذا الجهد تقديرا ووفاءا.

مقدمة

مقدمة:

برزت في العصر العباسي وفي القرن الرابع الهجري شخصية عظيمة وهي شخصية أبي الطيب المتنبي الذي استقطب اهتمام العديد من الدارسين والباحثين والنقاد والعرب فهو مازال ولا يزال يتربع على عرش الشعر العربي في القديم والحديث، فهو شاعر كل العصور، حيث استطاع شعره أن يعبر عن طموحات الإنسان العربي وتطلعاته إلى الأفضل كما جاءت معظم قصائده مفعمة بالحكمة التي أثرت فيها التجارب الإنسانية العميقة ومدى تأثره وانفعاله للواقع الأحداث والظروف التي مر بها، كما أنه استطاع بثقافته الواسعة وتأملاته الكبيرة التي ساعدت عصره وذلك من خلال تأثره بالفلسفة والمنطق وبالثقافات الأخرى التي استلهمها المتنبي في إنتاجه الشعري، وهذا يعد من أهم الأسباب والدوافع التي أدت إلى اختيارنا لهذا الموضوع وأيضا حبنا لإطلاع واكتشاف هذا الشخصية المفعمة بالحكمة والإبداع على هذه الشخصية.

ومنه نطرح هذه التساؤلات ماهي المركزات العقلية في شعر المتنبي؟

ومن أجل معالجة الموضوع معالجة فنية ونقدية استعانا بالمنهج الفني مع الاعتماد على المنهج التاريخي في تسلسل الأحداث ولجمالية الموضوع ارتأينا إلى رسم الخطة الآتية:

الفصل الأول: تناولنا فيه بناء القصيدة العربية قديما متضمن هده العناصر:

1-في العصر الجاهلي

2-صدر الإسلام والأموي

3-في العصر العباسي

الفصل الثاني: تحدثنا فيه عن النزعة العقلية في بناء القصيدة لدى المتنبي من حيث الفكر والعقل ثم تطرقنا إلى العناصر الآتية:

1-تأثره بالفلسفة

2-تأثره بالقياس و المنطق

3-تأثره بالثقافة الهندية

4-تأثره بالثقافة اللغوية

الفصل الثالث: تطرقنا فيه عن النزعة الفنية في بناء القصيدة لدى المتنبي وقد خصصناه في البعد الفني للتعبير الشعري ويتمثل في:

1-الخيال
2-الصور البلاغية
3-الألفاظ والمعاني
4-سرقات المعاني وإعادة تشكيلها.

وقد انهينا بحثنا بخاتمة توصلنا فيها إلى أهم النتائج من خلال فصول هذا البحث.

أما الصعوبات والعراقيل التي وجهتنا شأننا شأن كل باحث في إنجاز بحثه.

وعلى الرغم من الجهد بذلناه في إثراء هذا الموضوع إلا أننا نقر بأن البحث لم يبلغ غايته لأنه موضوع واسع ومعقد.

وفي الأخير نتقدم بالشكر الجزيل ونعترف بالجميل إلى أستاذتنا المشرفة "يعقوبي" على ما قدمت لنا من نصائح وتوجيهات وندعو الله عز وجل أو يجعل أول هذا البحث صلاحا وأوسطه فلاحا وآخره نجاحا.

حرر بتيسمسيلت: في2017/05/18

مزاري رشيدة
قصري لامية

الفصل الأول

بناء القصيدة العربية قديما

01-في العصر الجاهلي.

02-في العصر صدر الإسلام.

03-في العصر الأموي.

04-في العصر العباسي

الفصل الأول: بناء القصيدة العربية قديما:

01/- في العصر الجاهلي :

ظهرت القصيدة في الشعر العربي ظهورا طبيعيا وقد كان امتداده لنغمة البيت الواحد وقد نسب العرب بناء القصيدة إلى المهلهل وقالوا أنه أول من قصد

القصائد[1] اعتبارا منهم أن الشعر حديث السن وأنه ابتدأ مع امرئ القيس وء المهلهل .

تفتح القصيدة عادة بالوقوف على الأطلال واستيقاف الصحب وذكر الأحبة وذلك أيا فانتزع القصيدة غرضها وكان تأثير البيئة كثيرا على نفسية الشعر و أفاقهم الصحراوية تمتد امتدادا فوق الرمال وقلوبهم خافقة بالذكر الشديدة التأثير و الانفعال. والعرب على حد قول النويهي"قوم ترحال دائم يشجعون المرعى ويؤمنون تلك البقاع من الأرض التي نحفظ قدرا من السماء، فيثبت عليها العشب الذي ترعاه إبلهم ونوقهم ،وهنا يبقون حتى ينفد المرعى وتأكل حيواناتهم كل العشب ، فيضطرون للرحلة إلى مكان آخر لا يزال به غنيا وتختلف مراعيهم بطبيعة الحال بين فصول السنة المختلفة ،...فيقفون هناك برمة يعتبرون فيها ويتذكرون ماضي حياتهم وسالف رفاقهم، وهكذا أنشأت السنة الشعرية القديمة من بدء القصيدة على أطلال الدور المهجورة وذكر الأحبة[2]".

وتسمى هذه الفاتحة لدى شعراء الجاهلية بالنسب منها ينتقل الشاعر إلى ذكر الرحلة التي يقوم بها على ظهر ناقته وما يوجه من مشتقات وصعاب بسب البيئة الصعبة التي تحيط به من رمال لانهاية لامتداد وجبال وعرة جرداء كل هذا يوجه المسافر في رحلته في الصحراء رفقة ناقته وبعض الرفاق وقد شاع اقتناع القصائد عند الجاهلين بالوقوف على الطلل الذي يعتبر ركيزة القصيدة الجاهلية.مما جاءت في لسان ابن قتبيه " سمعت بعض أهل الأدب يذكر أن مقصد القصيدة إنما ابتدأ فيه بذكر الديار والدمن والآثار ، فبكى واشتكى مخاطب الربع واستوقف الرفيق ليجعل ذلك سببا لذكر أهلها الظاعنين عنها [3]".

فالمقدمة الطللية "تكشف لنا عن العلاقة القوية التي تربط الإنسان بالمكان في حالته الراهنة بما طرأ عليه من تحويل موت و حزاب" [4].

[1]-ينظر: العمدة في محاسن الشعر آدابه، ابن الرشيق القيرواني، محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، ط2، 1955م، ص: 54.
[2]- الجامع في تاريخ الأدب العربي، حنا الفاخوري، دار الجبل، بيروت ، د ت ، ص: 130.
[3]- الشعر و الشعراء، ابن قتيبة، دار صادر بيروت، د ط 1964م، ص: 74.
[4]- تشكيل الخطاب الشعري، دراسات في الشعر الجاهلي، مرسي رباحة، دار الجديد، ط2، 2005م، ص: 13.

و قد تناول بعض القدماء أن هناك شاعر سبق امرؤ القيس في بكاء الديار، و يكاد يكون ابن سلام هو أول من نص عليه حين تحدث عن أقدم الشعراء و لكنه أثبات أنه امرؤ القيس.[1]

و قد ذكر أمريء القيس في معلقته ديار محبو بته، و ذكرياته معها، و شوقه و حزنه لتلك الأيام، فيطلب من صاحبه أن يقف و أن يبكي معه لعل هذا البكاء يخفف أحزانه، بعد أن خلت الديار من أهلها و اتخذنها الظباء مرتعا لها فتناثر بعرها هنا و هناك، ثم يتذكر رحيل محبوبته مع أهلها فيقول:

قفَا نَبْك منْ ذكْرَى حَبيب و َمنْزل بسَقط اللوَى بَينَ الدَخُول فَحوْمَل

فَتُوضح فالمقْراةُلم يعْفُ رسمْها لما نَسَجَتهاَ من جَنُوب و شمَال

تَرى بَعرَ الأرَام في عَرصَاتها و قيعَانهُا كأنَّهُ حَبُ فُلفُل

كأنّ غَداَة البَيْن يوْم تحمَلُوا لدى سَمُرَات الَحي ناقفُ حنْظَل

وُقُوفًا بها صَحبْي عَليَا مطيُهُم يقُولُونَ لا تهلك أسَى و تجمَل[2]

له مقدمة أخرى افتتحا برسم أطلال محبوبته سلمى التي رحل أهلها عنها و لم يبقى سوى يعيش آلامها كلما مر على هذه الديار التي عبثت بها الأمطار و غيرت معالمها و يقول في قصي

الأعُمَ صَباحًا أيُها الطلَلُ البالَي و هل يعمُ مَن ْكان في العَصْر الخَالي[3]

هل يُهيَمنُ إلا سَعيدُ مخُلَد قَليلَ الهموم مَابيْتُ بأوحالِ

هل يهْيمنُ مَنْ كان أحْدثَ عَهده ثلاَثينَ شَهْراً في ثلَاثَة أحوَال

ديَار َلسَلمَى عَافيَاتٌ بذي خَال ألحَ علَيها كُل أسْهَم َهطَال

[1]- طبقات فحول الشعراء، ابن سلام الجمحي، محمد محمود شاكر، دار المعارف، دط ،مصر، ص:33.
[2]- ديوان امرؤ القيس، شرح عبد الرحمان البرقوقي، ص:33.
[3]- الأعم: دعاء للطلل بالنعيم.

و تحسْبُ سَلمَى لا تزَالُ ترَى طلًا من الوَحْش أو بيْضا بمشاء مُحْلَال

و لمرؤ القيس العديد من المقدمات الطللية و لهذا كان امرؤ القيس من أوائل الشعراء الذين أرسو تقاليد المقدمة الطللية و التي رددها الشعراء بعده، كما اهتم بأجزاء القصيدة على اختلافا و أصل تقاليدها، و يعد عبيد بن الأبرص الذي وصفه ابن سلام أنه من أقدم الفحول[1] ، و إنه قديم الذكر عظيم الشهرة، طرفة بن العبد اللذان يعدان من أوائل الشعراء و منتقديهم ممن كانوا يعاصرون امرؤ القيس و قد عرضا في مقدماتهما الأطلال ثم في أجزاءها المختلفة و التقاليد التي رأيناها عند امرؤ القيس.

فها هو ذا عبيد بن الأبرص يستهل قصيدته اللامية و هو يبكي أطلال محبوبته التي تغيرت معالمها بسبب الأمطار و الرياح و الرمال التي هبت عليها، فرآها متغيرة فأحزنه ذلك و أثر في نفسيته:[2]

أَمنْ رُسُوم نؤيهَا نَاجُل و من ديارَ دَمْعك الهَاملُ

جَرتْ الريحُ بها ذيْلهَا عامًا و جُوه مُسَبلُ هَاطلُ

حتى عفَاهَا حيْثُرعْدُه و إلى النَواحي مُسَبل وابلُ

ظَلتْ بهَا كأَنني شَاربُ صَهْبَاء مما عَشقَت بَابلُ

و قد شارك عبيد أمرء القيس في تأصيل تقاليد المقدمة الطللية و في إرساء أجزاءها أما عن طرفة فهو يصف في أحد أبيات قصيدته منازل محبوبته سلمى و مناظرها و ساحاتها فأستذكر أيامه و ذكرياته معها يقول:[3]

أتعْرفُ رَسْمَ الدَار قَفرْاً مَنازلَه كَجفَن اليمَاني زُخْرفَ الوشْي مأَثلَه

بتَليثَ أو نَجرَان أو حيث تلْتقي من النَجْد في قيْعَان جاش مسَايِله

ديارَ لسَلْمَى إذا تصَيدكَ بالمُنى إذ حَبْلُ سَلمى منْكَ و إنْ تواصُله

[1]- طبقات فحول الشعراء، ابن سلام الجمحي، ص:23 .
[2]- ديوان عبيد بن الأبرص- ديوانه – حسين نصار، طبع مكتبة و مطبعة مصطفى البالي الجلي، أولاده ، مصر 1957م، ص: 97.
[3]- مختار الشعر الجاهلي، مصطفى السقا، طبع شركة و مطبعة البال الجلي و أولاده، مصر ط2، 1948م، ص:354.

و في معلقته الأخرى المشهورة التي جمع فيها بين وصف الأطلال و وصف صاحبته يقول:

لخَولَة أطْلال ببرقَة ثَهمَد تَلوُح ُكبَاقي الوْشْم في ظَاهر اليَد

وُقوُفاً بها صَاحبَي عَليَ مَطيُهُم يقُولُون لا تهَلَكْ أسَى و تجَلَد

كَأنَّ حُدُوجَ المالَكيَة غُدْوة خَلا ياَ سَيفَين بالنَواصي من دد

في حين أنه اهتم بوصف محبوبته و منزلها الذي وجده خال كأنه بقايا وشم في ظاهر الكف فاستوقف أصحابه كما وقف و قدموا إليه النصح كما خففوا عنه الأحزان التي أصابته جراء فراقه عن صاحبته فيواسونه بالصبر و التجلد.

-المقدمة الغزلية:

تعد المقدمة الغزلية من المقدمات المشهورة التي أكثر الشعراء الجاهليون افتتاح قصائدهم بها فأبو الفرج الأصفهاني إلى أن المهلل بن أبي ربيعة هو أول من قصد القصائد و أطالها و قال الغزل في أوائلها[1] إلا أن هذا القول يستحق الدراسة والتحقق منه، و يقول ابن سلام " ما قال مالم يقولوا لكنه سبق إلى أشياء ابتدها واستحسنها العرب واسمعه فيها الشعراء منها استيقاف صحبة ،البكاء في الديار، ورقة الثيب، و قرب المأفز وشبه النساء بالظباء و البيض...، وفصل بين النسيب وبين المعنى"[2].

يقال أن أمريء القيس من أوائل الشعراء الذين تناولوا موضوع الغزل نظرا لحياة المجون و اللهو التي كان يعيشها في ملك أبيه، فقد ذكر مغامراته في قصائده كما نجد في معلقته التي يصف فيها محبوبته وصفا معنويا بحيث لم يترك شيئا من

[1]- الأغاني، الأصفهاني أبو الفرج، علي بن الحسين بن حمد الأموي، طبع دار الكتب و الساسي، ط1،5، ص:57.
[2]- طبقات فحول الشعراء، ابن سلام الجمحي ، ص:46.

مفاتن جسمها إلا و ذكر وصفا دقيقا مفصلا فهي بيضاء ضامرة البطن، خصرها دقيق رقيق كأنه الزمام من سيدر، ساقها ممتلئة بيضاء، يفوح العطر من فراشها، وجهها أبيض مشرق يبدو الظلام على من حولها كأنّه مصباح راهب يقول:[1]

مُهَفْهَفَةٌ بيْضَاءَ غَير مُفَاضَة ترُابهُا مَصْقُولَة كا السُنبُل

كَبكْر مُعاناَةُ البَيَاض بصفرَة غَدَاهَا ثمَيُر الماء غَيْر المُحْتَل

تَصَدُ وتُبْدي عَن أسيل وتَشقي بناَضرَة من وَحْش مجَرَة مَطْفَل

جَيد كَجيد الدَائم ليْس بفَاحش إذاَ هي نَصته ولا بُمعَطل*

وها هو بشر بن ابي حازم يعرض لنا الامة وحزنه و معاناته الشديدة بسبب فراقه لصاحبته "أسماء "التي تخلت عنه وتبين في إكتابهو اكتواءه بنار الفراق إلا أن هذا لم يجعله يتوقف عن ذكر جمالها، حتى لو رأته يوم الرحيل لكانت أشفقت عليه و على حالته التعيسة، يقول:

كَفَى بالناَي مَن أسمْاء كَافي و ليْسَ لحُبهَا طال شاَفي

بلى إن العزاء له دواء وطول الشوق ينسيك القوافي[2]

و الحديث عن المقدمات الغزلية طويلة خاصة لدى الشعراء الذين اهتموا بالجانب الحسي إلا أننا لا ننكر أن بعضهم قد اهتم بالجانب المعنوي و خير دليل على ذلك هو المقدمة قانية الشفرة في حديثة عن عمرو التي عزمت على بالرحيل دون إعلامه و إخباره بأحزانها كثيرا يقول:

ألا أُم عمرو أجمعت فاسْتَقلتْ و ما ودَعْتْ جيرانها إذا تولتْ

و قد سبقَتهْا أمُ عَمْرو بأَمْرهَا و كَانَتْ لأعَنَاق المطي أَظَلَتْ.[3]

[1]- مقدمة القصيدة العربية في العصر الجاهلي، حسين عطوان، ص:96.
*- المهفهفة : اللطيفة. المفاضلة: ضخمة البطن. المعطل: الذي لا حلي عليه.
[2]- ديوان بن ابي حازم، بدر بن أبي حازم، تحقيق عزت حسن، دمشق، د،ط/1960م، ص:210.
[3]- منتخبات الأدب العربي، حنا الفاخوري، مرجع سابق، ص: 263.

و أروع ما قال طرفة بن العبد في مقدمة قصيدته الغزلية التي يمدح فيها قومه و يعتذر إليهم يقول:

سَجيُة تلكَ فيهم مُحدثَة أن الخلَائقَ– فاعْلَم – شَرهَا البدَع

إنْ كاَنَ في النَاس سبَاقُون بعْدَهُم فَكل سَبقَ لأنَّ سَبقهُم نَبع[1]

و يقول أيضا في نفس القصيدة:[2]

صَحَوتُ اليوْم أم شاقت كحر و من الحُب جُنوُن و مَشاعُر

لا يَكُنْ حبك داء قاَتلاً لَيسَ هذا منْكَ مارئ بحر

كيْفَ أرْجُوا حُبَهَا من بعَدهَا عَلَقَ القَلْبُ بنَصْب مُسْتَر

جَازَت البيدُ إلى أرْجُلنَا خَر اللَيْلُ بيعْفُور حَذر

ثم زاَرتْني و صُحبْتي هَجَع في خَليْط لَبَن برَد و ثَمر

نخلس الطَرَف بعَيشي بغَرز و بعدي رشا أدَم غر[3]

فالشاعر في هذه الأبيات يستعطف قلب محبو بته لعل وعسى ترق و تعطف عليه فقد بلغ حد الجنون لها بسبب شوقه لها ،ثم يصف لنا محاسن و مفاتنها و التي لا يفك ينقطع عن التفكير فيها في جمالها الأخاذ.

02/- في صدر الإسلام:

يعد الشعر في عصر صدر الإسلام امتدادا لسابقة في العصر الجاهلي لأن شعراء هذا العصر هم أنفسهم شعراء الجاهلية لهذا كانوا يسمون بالمخضرمين، إلا أن هذا لا يمنع أن يكون قد حدث شيء في أسلوب الشعر ومعانيه، أما أسلوب الشعر في هذا العصر فقد اختلف بشكل يسير عن أسلوب الشعر الجاهلي وذلك من خلال تأثره بأسلوب القرآن وأسلوب الحديث وتأثره بعاطفة المسلم الرقيقة فالورع والتقوى ومخافة الله أوجدت أسلوبا يستعبد عن الجفاء والخلقة والخشونة التي هي

[1]- الحياة الأدبية في العصر الجاهلي و صدر الإسلام، محمد عبد المنعم خفاجي، مكتبة الأزهر، مصر دط، د ت ، ص: 308.

[2]- مقدمة القصيدة العربية في العصر الجاهلي، حسين عطوان، ص: 98.

[3] - ينظر: مقدمة القصيدة العربية في العصر الجاهلي، حسين عطوان، ص: 98.

أبرز سمات الشعر الجاهلي ومن هنا أصبح الشاعر الإسلامي يختار الألفاظ اللينة والتركيب السهلة الواضحة التي تؤدي المعنى بشكل دقيق أما أوزان الشعر ونظام القصيدة فقد بقيت على ما كانت عليه في العصر الجاهلي لأن مثل هذا التغير يتطلب وقتا إما معاني الثم فقد اختلف بشكل كبير عن معاني الشعر الجاهلي.

ثم أصبح الشاعر في هذا العصر يختار من المعاني ما يخدم الإسلام ويدعو إليه مستقيا معظم هذه المعاني من القرآن الكريم والحديث النبوي إلا أننا لا يمكنان نفصل معاني الشعر الإسلامي عن معاني الشعر الجاهلي لأن الأدب الجاهلي هو من مصادر التي يستقي منها الأدب الإسلامي أفكاره وأساليبه ولهذا فإن المعاني التي أهملها الشعر هي المعاني التي نقاها الإسلام كالعصبية والغزل الفاحش ، الهجاء المقذع ،والمدح الكاذب ،ووصف الخمر ...أما المعاني التي بقيت متداولة بين الشعراء مع تغير القيم (التمسك بالدين والتحلي بحسن الخلق والخلق والورع والزهد).

كما يمكن أن نقسم أشعار صدر الإسلام إلى قسمين كبيرين :قسم نظمه الشعراء في موضوعات جديدة تتصل اتصالا وثيقا بالدعوة الإسلامية و ما صاحبها من أحداث سوآءا في الجزيرة العربية أو بلاد الفرس و الروم .

و قسم حافظوا على الموضوعات التقليدية من المدح و هجاء و فخر ورثاء.

أما القسم الأول فنرى أنهم لم يحافظوا على التقاليد الفنية و لا يدعونها طبيعية موضوعاتها و خروجهم عن عمود الشعر و تخلصهم من المقدمات في تلك الأشعار لا يمثل ثورة على التقاليد الجاهلية المتأصلة منذ زمن مبكر و إنما كان ثمرة لا بد أن تنسجها الأحداث المتدافعة و التغييرات المتلاحقة، و قد انحصرت أشعارهم في التعبير عن أنفسهم و عواطفهم فرحا بالنصر مؤزر و جزعا من الهزيمة المنكرة أو حنينا إلى الأهل و الأوطان، و خير مثال على ذلك قصائد حسان بن ثابت الإسلامية فمن المعروف أنه استهل قسما من قصائده الجاهلية بمقدمة طللية و مقدمة غزلية لأنه كان ينشدها في سوق عكاظ و في بلاط الغساسنة و بلاط المناذرة...و لما دخل الإسلام اختاره الرسول ليكون شاعره الذي يدافع عن الرسول و الإسلام و يرد على أعداءه، فقد تخلص من المقدمات في كثير من

قصائده و شرع في موضوعاته الأساسية دون التمهيد لها فقد كان يرتجل أكثرها ارتجالا[1].

لكي يتابع الأحداث ويشارك فيها مشاركة فعالة على النحو كان الشعر الفتوح الإسلامية فإنه تندفق من ألسنة الشعراء بأفكاره وأجواء جديدة لم يعهد وها ولم يألفوها اذ صدر معظمه من أناس لم يعرفوا الشعر من قبل،بل إن جانب منه لم يكن يعرف له قائل، [2]وكانت عبارة مقطوعات لا يتجاوز أطولها عشرة أبيات وعبر بها خير الفتوح عن انتصاراتهم وهمومهم وآلامهم.مّا في القسم التقليدي من قصائدهم فنجدهم يتمسكون بعمود الشعر بحيث حافظوا على معانيه و مبانيه ،كما أنهم لا يخرجون على شكله وأجزائه إذا أثبتوا في صدورها المقدمات التي أكثر الشعراء الجاهليون من ابتداء مطواتهم[3].

كما قدم لنا ابن مقيل في مقدمته اللامية التي يفتخر فيها بنفسه بشكل أخر من أشكال المقدمة الطلية بحيث يصف لنا منظر الأطلال ،ومنظر الظعائن و يستحضر لنا ذكرياته وحبه الضائع في ديار كبشة يقول:[4]

سَائل بكَبْشة دَارسَ الأطْلال قدْ هيّمتك رُسُومَها لسُؤال

و الدارُ قد تدَعُ الحَزينَ لما به ويدُلُ عَارفَها بغَير دَلَال

سحْراً كمَا سَحَرتَ جُرْأة كُثْرَتهُا بغُرُور أيام ولَهو لَيَالي

فالشاعر هنا يصف لنا الظعن وصاحبته ، فيذكر أنّ قافلتهن كانت تسير بشعب ضيف بين رمالمتراكمة قريبة من مكة وكنّ يرتدين ثيابا من حرير وهوادجهن كللت بثياب أخرى، وكانت وجهتها نحو قرية فيها بساتين النخيل، فبدت له كالسفن الراسية بساحل البحرين ويقول :

[1]- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد ابن عبد البر، تح: علي محمد البخاري، طبع مكتبة، نهضة، مصر بالقاهرة، ص: 349.

[2]- تاريخ الرسل و الملوك، محمد بن جرير الطبري، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، طبع دار المعارف، بمصر، ص: 117-118.

[3]- مقدمة القصيدة العربية في الشعر الجاهلي، حسين عطوان، طبعة دار المعارف، مصر 1970م، ص: 113-174.

[4]- ديوان تميم بن أبي مقيل، تح: عزة حسن، طبع وزارة الثقافة بدمشق 1962م، ص: 255.

بَلْ هَل ترَى ظَعْنا كبشة وَسَطهَا مُتدَنيَات الخَلّ منْ أَوْرَال

لبسَتْ جَلابيْبَ الحَرير وخَدَرت بالَربْط فَوقَ نوَاعج وجَال

حَتى إذا هبطت مدافع راسل ولهَا بصَحرْاء الرَاقي تَوالي

مالَ الحُداَة بها كائش قَرية وكأنهَا سُفُن بسَيف أوال

نلاحظ في أبيات ابن مقيل انشغاله بآلامه وأحزانه لبعد كبشة منه ، فهو لم ينس ان يحبرّ لظعنها لوحة بديعة ، فقد وصفها وصفا رائعا ذكر فيه رحلتها وطريقها التي بدأت منه وسارت فيها، ثمّ أتى أيضا إلى ذكر هوادجها وما كان تحللها من ثياب مختلفة الألوان و الأشكال وكذا الأنواع.

وللحطيئة الكثير من المقدمات التي استهل بها قصائده في هجاء الزبر قان بن بدر ومدح بني أنف الناقة في القصة المشهورة التي كان بطلها وحبسه عمر بن الخطاب بسببها،[1] و استهل بها قصائده في مدح أمي موسى الأشعري والوليد بن عقبة،[2] ومنها قصيدته البائية التي يصف فيها ألامه وأحزانه إثر تغير منزل صاحبته عند بين بئر الطوى وجبل صارة و راديه لكثرة ما نزل بها من الأمطار الشديدة المتقطعة والمتواصلة وما سحبته الرياح عليها من غبار ولم يبقى من معالمها إلاّ الأحجار التي كانت تنصب القدور عليها، يقول[3] :

يا دار هند عَفَتْ إلاّ أتافها بيْن الطَوّى قصرات فُؤَادها

أرَى عَليْهَا ولي ما يُغيُرها وَديمة حُليت فيْها عزا ليها

قَد غَيرَ الدَهرُ من بعدْي مَعَارفهَا والرّيْحُ فاندفنت مغَانيْهَا

جرت عليها بأذيَال لها عَصْفُ فأصْبحَتْ مثْل سَحْق الَبرْد عَافيهَا

هذه الأبيات من المقدمات الطللية للحطيئة التي افتتح قصائده الإسلامية فهو دائما يتأنى في رسم مناظرها ، وقد وفر كل المقومات و الجزئيات لها كما أنه توسع في

[1]- ينظر هذه القصة في الشعر و الشعراء، إبن قتيبة، ص:244.
[2]- ديوان الحطيئة، تح: نعمان أمين طه، شركة مكتبة و مطبعة مصطفى البابي الحلبي و أولاده، مصر 1958، ص: 180-239.
[3]- المصدر نفسه، ص: 201.

عرضها و في التدقيق فيها، ويعد الحطيئة السّباق في هذا الميدان فمثلا نراه في قصيدته الرائية التي هجا فيها الزبرقان في مدح بغيض حيث يصف لنا ديار محبوبته سلمى يقول فيها[1] :

عَفَا مَسْحَلَان منْ سُلَيْمَى فَحَاصَرَاهُ تَمشَّى به ظلماته وجآذره

بمُسْتَأسد القُريانَ حوّ تلاعُه فنَوارُّهُ مَيْلُ إلى الشَمْس زاَهرُ

كأن سلحا نَشّرتْ في بزّهَا برودا ورقْمًا فاتكَ البيع بأَجرُ

فإذا أعدنا النظر في الأبيات فنجد أنّ الحطيئة يصور لنا لوحة فنية رائعة تكشف لنا عن إبداعه و صنعته الراقية،فمنازل محبوبته اندثرت معا لمها وأثارها بعد أن خلت من أصحابها.

إنّ شعراء هذه الطائفة قد نسجوا مقدماتهم الطللية على منوال القصيدة الجاهلية و مستعينين بالخيوط القديمة التي فتن بها أسلافهم وحرصهم على الإحاطة بكل عناصرها ومظاهرها شأنهم في ذلك شأن شعراء الجاهلين ، التي كانوا يفتتحون قصائدهم بها .

أما الطائفة الثانية والتي مثلها كل من حسان ابن ثابت ولبيد ابن ربيعة والنابغة الجعدي ،فإنّ مقدمتهم دائما ما تكون قصيرة ومجزة ،لا يحافظون فيها على الناحية الفنية الخالصة.

ومن أمثلة شعراء هذه الطائفة نجد مقدمة حسان ابن ثابت الذي استهل قصيدته البائية يعرض فيها

حالة المشركين في غزوة الخندق يقول[2]:

هَلْ رَسْمُ دَراسَة المقاَم بباب مُتَكلم لمحاَور بجَواَب

ولَقَدْ رَأَيْتُ بها الحلُولُ يزُينُهُم بيْض الوُجُوهُ ثوَاقب ا لأحْسَاب

فدَع الأبْياَت وذكْر كل خَريدَةُ بيْضَاء النسَة الحَديْث كعاَب

[1]- ديوان الحطيئة، الحطيئة، ص: 180.
[2]- شرح ديوان حسان بن ثابت، تح: عبد الرحمان البرقوقي، مطبعة الرحمانية، مصر 1929م، ص:11.

الملاحظ أنّ حسان قد أوجز إيجازا كبيرا في هذه المقدمة حتى أنه لم يذكر سوى اسم الديار وصفتها العامة ثمّ دخل مباشرة في موضوعه.

"ولقد عني الأولون بمقدمتهم الطللية عناية شديدة ، فأحاطوا بكل مقومتها وتقليدها من تجديد لمواقع الديار وتعدد لبقاياها ، وما غيرها و محل بأهلها بعد رحيلهم عنها مع تفصيلهم و تدقيقهم في تصوير كل ما أحاطوا به، أما الآخرون فخطف القول في مقدماتهم ولم يتريث في صنعها،هذه الفروق التي تظهر بشكل كبير في فواتح الشعراء المخضرمين الطللية واتصالهم كل الاتصال بالحياة الجاهلية. وعاداتها وتقاليدها، ونظمهم في الموضوعات التقليدية من مدح وهجاء وفخر ورثاء وحرصهم على الإجادة في شعرهم وأحكام صنعته قد أدت جميعا إلى أن تكون مقدماتهم الطللية صور أخرى عن المقدمات الجاهلية، وانفصالهم عن الدعوة الإسلامية، هذا في مايخص الطائفة الأولى، فقد عرف عن ابن مقيل أنّه كان جافيا في الدين وأنّه كان في الإسلام يبكي أهل الجاهلية و يذكرها"[1].

وأنّ الحطيئة كان فاسد الدين ويقال أنّه بقي محافظا على الهجاء في أشعاره لأنّ فيه مكسبه ومنه معاشه [2]ومن ناحية أخرى كان الشماخ شديد متون الشعر وقد وصفه الحطيئة بأنّه "أشعر غطفان"[3] أمّا ابن المقيل فقد جعله ابن سلام في الطبقة الخامسة من فحول الجاهلية والحطيئة من شعراء الصنعة ومن الشعراء المقدمين الفصحاء، وأنّه متحرف في جميع فنون الشعر.

أمّا بخصوص الطبقة الثانية فلم يكونوا أقل شهرة عن الطائفة الأولى فقد وصف ابن سلام حسان بأنّه كثير الشعر وأنّه أشعر شعراء المدينة [4].

ووصف النابغة الجعدي بأنّه شاعر "مغلق" [5]وأمّا لبيد فبلغ من عنايته بشعره وتدقيقه في ألفاظه ومعانيه وتنميقه لها أنّ الأصمعي قال في شعره[1]:"كأنّه طيلسان طبراني" يعني أنّه محكم الأصل ولا رونق له .

[1]- طبقات فحول الشعراء، ابن سلام الجمحي ، ص:165.
[2]- الأغاني، الأصفهاني، ص:163-187.
[3]- الشعر و الشعراء، عبد الله بن مسلم بن قتيبة، ص:235.
[4]- طبقات فحول الشعراء، ابن سلام الجمحي ، ص:179.
[5]- طبقات فحول الشعراء ,ابن سلام الجمحي، ص:103.

وقد تغيرت أحوالهم بعد إسلامهم ومفارقتهم للحياة وإيمانهم بالإسلام وانصياعهم له ،وأخذوا ينظمون في الموضوعات جديدة فأدى ذلك إلى ضعن عنايتهم بالتقاليد الفنية في الكثير من قصائدهم الإسلامية، وخير مثال يطبق عليه هذا الحكم هو حسان شاعر الرسول صلّى الله عليه وسلم فقد كان يخوض في مواضيع جديدة لم تكن له سابقة بها ولم تكن له الخبرة الكافية فيها وقد كان يصوغها في ظروف لم يكن يصوغ قصائده الجاهلية في ظروف مثلها كما أنّه لم يكن ينظم أشعاره لكي ينال الجوائز والمراتب عليها بل كان ينظمها لكي ينصر بها الإسلام والمسلمين بلسانه بعد أن عجز عن نصرته بسيفه لكبره وضعفه ولكي لا يتأخر عن واجبه كغيره من المسلمين، حتى أنّه كان يستدعي من بيته إذا كان غائبا لكي يرد على شعراء النفوذ وقد قلت مطولات التي كان يفتحها في المقدمات يقول الأصمعي :" الشعر نكد يقوى في النثر فإذا دخل باب الخير طغى ولأنّ هذا حسان فحل من فحول الشعراء في الجاهلية ، فلم جاء الإسلام سقط شعره"[2].

وإذا كان حسان قد احتفظ ببعض الجزئيات من المقدمة الطللية في قصائده الإسلامية فإننا لا نكاد نجد أي لون منها في قصائد لبيد الإسلامية بالرغم أنّه أحسن الشعراء في رسم أطلال تفصيلا محكما في قصائده الجاهلية والسبب في ذلك على أنّه عزف على الحياة الجاهلية واندمج في الحياة الإسلامية كتلاوة القرآن وحفظه وقد قال عنه أبا عمرو بن العلاء " ما أحد أحب إليّ شعرا من لبيد بن ربيع لذكره الله عز وجل و ذكره الدين والخير "[3].

- المقدمة الغزلية:

اشتهر العديد من الشعراء المخضرمين بافتتاح قصائدهم الغزلية وقد وفق مضمونها في أشعارهم الإسلامية نظيرتها في العصر الجاهلي ولم يطرأ عليها أي تغير فقد بقي الشعراء يتغنون بآلام الفراق عن الحبيبة الرحلة ويصفون محاسن المرأة و ما فتنها وهي الصفات التي استحسنها الشعراء وأكثروا منها .

---

[1]- الصناعتين، الحسن بن عبد الله العسكري، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم و علي البجاوي، دار الكتب العربية القاهرة 1952، د ط، ص: 180.
[2]- ينظر: الموشح، محمد بن عمار المزرباني، طبع المطبعة السلفية القاهرة،د ط، 1343 هـ ، ص: 62.
[3]- الموشح، محمد بن عمر المزرياتي، ص: 71.

فها هو الشاعر حسان يرسم لنا صورة لمحبوبته التي تعلق قلبه بها في مطلع قصيدته الميمية التي يفتخر فيها بانتصار المسلمين في بدر يقول [1]:

تبْك فُؤَادك في المنام فَريدَة تَسْقي الضَجيْجَ ببارد بَسَامُ*

كالمسْك تخُيطُهُ بمَاء السحابَة أو عاتق كَدَم الذبيح مدام

نفَجُ الحَقيْبَة بوَصْفهاَ مُتنَضّد بلْهاَءَ غير وشيْكَة الأَقْسَام

كما نرى أنّ الحطيئة يسير على نفس المنوال وهذا ما نراه في مقدمة قصيدته الدالية في مدح أنف الناقة وهو يقول أنّه فضل ماشاقة ومتاعب السير في الليل على الإقامة الهادئ في بيتة، ثم يصف زوجته فيقول أنّها امرأة حسناء تملك جسدا ساحرا ووجها مشرقا يقول[2]:

أثرْتُ إدْلاجي عَلى الليْل حرّة هَضيْم الحَشَا حُسُّنه المتَجردُ*

إذاَ النَدَم أَلْهَم عَن الزَاَد خلتَهَا بعيْد اللزَى باتَتْ علَى طيْن مجُسَد

إذاَ ارتْقَتْ فوَقَ الفرَاش سيدَهَا تخَافُ انبْثاَثَ الخَصْر مالم تُشدد

وتضحي غضيض الطرف دون كأنها تضمّن عينها قذى غير مفسد

الحطيئة في أبياته هذه مفتون بجمل زوجته المادي لا جمالها المعنوي حيث إهتام بوصف مفاتن جسمها معتمدا في ذلك على المعاني الجاهلية.

وقصيدة كعب بن زهير الشهيرة التي ألقاها بين يدي رسول الله المسماة بالبردة يقول [3]:

بانَت سُعاَد قلَبي اليَوم َمتبْوُلُ متُيم إثْرها لم تجز مكبول

[1]- شرح ديوان حسان,عبد الرحمان البرقوقي، ص 326.
*- تبك فؤاده : ذهبت بعقله .
[2]- ديوان الحطيئة: الحطيئة,ص :147.
*- الإدلاج: السير في الليل، حسانه: حسنة.
[3]- شرح ديوان كعب بن زهير، أبي سعيد الحسن بن الحسين السكري، طبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1950، ص 6.

فالشاعر يذكر لنا محبوبته التي ارتحلت عنه وتركته أسيرا لحبيبيها يعاني من الشوق، والصبابة.

وهاهو ابن مقبل في مقدمته الغزالية يتذكر أيامه الماضية مع زوجته دهماء في فاتحة قصيدته التي يفتخر فيها بنفسه وقومه وحبه لزوجته دهماء يقول[1] :

هل القلَبُ عَنْ دهْمَاء سالَ وتاَركُه منها الخَيالُ المبرّحُ

وزَاجرَه اليَوم المُشيب فقد بَدا برَأْسي شَيْبُ الكبْرة المتَوضحُ

لقد طَال ما أخْفيتُ حُبَك في الحشا وفي القَلب حتى كاد بالقلب
يجرحُ قديما ولم يعلم بذلك عالم وإن كان موثُوقاً يود وينصحُ

فرديّ فؤَادي أو أثيب ثوابَهَ فقد يملْك المَرء الكَريم فيسمَحُ

وقد اهتم شعراء العصر الإسلامي بالغزل العفيف وفق ما تنصه الأحكام الإسلامية التي قدست المرأة لمكانتها العظيمة في الإسلام .

-المقدمة الدينية:

يعد الشاعر لبيد ابن ربيعة أول من استفتح قصائده بالمقدمة الجديدة أو المقدمة الدنية التي استلهم معانيها من آيات الذكر الحاكم ويروي إخباريا أنّه أعرض عن الشعر في الإسلام وعكف على قراءة القرآن ويبلغ بعضهم في ذلك ، فيذكر أنّه" لم يقل شعرا منذ أسلم "[2] ويقال أيضا " أنّه لم يقل في الإسلام إلا بيتا واحدا "[3].

وقد كان لا يفتتح قصائده بالمقدمة الدينية التي كان يصوغها صياغة جديدة بحيث كان يستوحي المعاني من القرآن الكريم كما نراه في مقدمته الدالية التي يرد فيها على عقبة بن عتبة ويفتخر بأسياده وأجداده وخاله المعطاء وأبيه "ربيع اليتامى " يقول [4]:

حَمدْتُ اللّهَ و اللّهُ الحَميدُ والله المؤثَّلُ والعَديدُ

فإنَّ الله نـاَفلةَ تُقاه ولا يُقتالُها الا سَعيدُ

[1]- ديوان تميم بن مقبل، تح: عزة حسن، طبع وزارة الثقافة بدمشق، د ط، 1962.ص:48 .
[2]- الإستيعاب في معرفة الأصحاب لإبن عبد البر، ص: 133.
[3]- الشعر و الشعراء، ابن قتيبة,ص:195.
4- ديوان لبيب بني إبي ربيعة، تح: إحسان عباس، طبع الكويت، د ط، ص: 38.

فهو يدعو إلى طاعة الله والخضوع له وتسبيحه وحمده للفوز برضاه،وله قصيدة أخرى يقول فيها:[1]

إنّ تقْوى ربنّا خَيْر نفل وبإذْن الله رَيْثي وعَجَل
أَحْمُدُ الله فلا يَذلُه بيَديهْ الخير ما شاَء فَعل
منْ هَداهُ سُبلَ الخَير اهتَدى نَاعم البالَ ومَنْ شاءَ أضَل

فهو يقر بأنّ أعظم مايمن به الله على عباده هو الهداية كما يذكر أيضا ضرورة ذكر الله وحمده.

وقد صار النمر بن تولب العكلي منحى لبيد ابن ربيعة إذ نجده يقول في مقدمته الجيمية التي يصف فيها فراسه[2] :

أعدني رَبّ منْ حَصْر وعْيّ منْ نَخْس أعالجها علاجا
من حَاجاَت نفْس فاعْصُمْني فإنَّ لمضَراة النفس حاجَاَ
وأنْتَ وليهُا وبرئْتَ منها إلَيْك وماَ قضَيْتَ فلا خَلاجَا

فهو يرج من الله عز وجل أن ينجه من الضلال وأن يهديه الصراط المستقيم و الفلاح في الدنيا والآخرة.

وقد انفرد لبيد عن غيره من الشعراء المخضرمين بابتكاره لونا من الألوان المقدمات الإسلامية ألا وهي المقدمة الدنية .

03/- في العصر الأموي:

إنه من الطبيعي أن تتوسع وتزداد الفنون الشعرية في هذا العصر بعد الانكماش الذي لحقها في العصر الذي قبله، فقد طرق الشعراء في هذا العصر أبوابا كثيرة في الشعر منها ما كانت في الجاهلية والإسلام فوسعوها وأكثروا فيها منها ما هو محدث وجديد ابتكروه تبعا لظروف الحياة ومتطلباتها ومنها ما له الأثر في الجاهلية والإسلام فالقديم بقي مسيطرا في أساليب أغلب الشعراء الأمويين لاسيما فيما يتعلق بمنهج القصيدة كالاستهلال يذكر الأطلال، التمهيد بالغزل في القصيدة لأغراض الهجاء أو المديح مع المحافظة على العبارة الجاهلية والطابع البدوي واللجوء إلى غريب اللفظ والعناية بالصفة بتقليد بعض مسالك القدماء الفنية والاستطراد...حتى أننا إذا تحدثنا عن هؤلاء الشعراء فكأننا نتحدث عن شعراء

1- الممصدر نفسه، ص: 174.
2- الحيوان، الجاحظ، تح: عبد السلام هارون، مصر، د ط، د ت، ص: 305.

الجاهلية فالطور الذي أوحى إلى الجاهلي هو الطور الذي استوحاه الأموي...ان التقليد ناموس طبيعي يسيرنا في كل مكان وزمان.[1]

وقد حظي الشعر بمكانة مميزة لدى الجميع بدون استثناء وهذا ما نراه من خلال تشجيع معاوية بن أَبي سفيان للشعر والشعراء حيث قال: " اجعلوا أكبر همكم وأكثر دأبكم فلقد رأيتني ليلة الهدير بصفين وقد أتيت أعز محجل بعيد البطن من الأرض وأنا أريد الهرب لشدة البلوى فما حملني على الإقامة إلا أبيات عمرو بن الإطنابة"

أَبَيْتُ لي همتي وأبى بَلَائي وأَخْذي الخَمْر بالثمن الَربيْح

وإَقْحَامي عَلى المَكْرُوه نَفْسي وَضَرْبي هَامَةَ البَطَل المُشيْح

مهما قيل عن المجتمع الأموي من أنه تغير وتطور وأن بعض الخلفاء وأبناءهم ومن دار في فلكهم انهمكوا في الملذات فإن ذلك لم يكن إلا انحرافات بسيطة، فقد عنوا عناية شديدة بالمحافظة على التقاليد العربية ولذلك وجدناهم يرسلون أبنائهم إلى البادية لكي يكتسبوا الخلق العربي الرفيع ويمثلوا قيمتها ويفقهوا لغتها.

ومعروف عن الأمويين تعصبهم ضد الأعاجم، ولعل ذلك ما جعل الجاحظ يصف دولة بني أمية بأنها "عربية أعرابية".[2] وأما بالنسبة للشعر فقد ظل أغلب الشعراء ينظمون أشعارهم على النمط الجاهلي، ولم يغيروا منه شيئا حتى أن بعضا منهم ينقل بعض المطالع الجاهلية نقلا حرفيا كما فعل الأخطل في قوله:

صَحَا القَلْبُ عَنْ أرْوى وَأقْصَر بَاطلَهُ وَعَادله منْ حُب أرْوى أقَابلُهُ

وقد استعاره من قول زهير بن أبي سلمى حين قال:

صَحَا القَلبُ عَنْ سَلمَى وَأقصَر بَاطلَه وَعُري أفْراسُ الصبَا ورَواحلُهُ[3]

---

[1]-المجموعة الكاملة، هارون عبود، دار هارون عبود، بيروت، د ط، د ت، ص:572

[2]-البيان والتبيين، الجاحظ:تح: عبد السلام هارون، مصر، ص:205.

[3]-ديوان الأخطل،الأخطل, دار الكتب العلمية، لبنان، د ط، د ت، ص:273.

ويرجع هذا التقليد على الأغلب لتأثر الأمويين بنظراتهم الجاهليين وافتنانهم بروائع ما انتجوا من قصائد وهذا دليل على وقوفهم على نماذج الجيدة من الشعر الجاهلي وعلى تداوله بينهم ولذلك لم يخرج الشعراء الأمويين على المقدمات الجاهلية بل حافظوا عليها و رددوا كثيرا معانيها وصورها. فحياة الأمويين لم تختلف كثيرا عن حياة الشعراء الجاهليين إنما بقيت متصلة بها وقد كان الفرزدق أقوى ممثل للبدوي الجاهلي بكل ما عرف عنه من أخلاق وما انطوى عليها من عصبية وغلظة.[1]

وها هو يحدثنا عن ألفته للصحراء وبيئتها، يقول:

لَفَلْجُ وصَحراءُ لَو سْرتَ فيهمَا أَحَبُ إلِيْناَ منْ دَجيل وَأفضَل

وَراحلة قَدْعوَدُونَ رُكُوبهَا ومَا كُنْتَ رَكابًا لهَا حيْنَ تَرحَلُ[2]

وقد نظم الشعراء الأمويون على شاكلة النماذج الجاهلية فقد كانوا يحبون المثل القديمة، ويرفعون من شأنها مما حمل على تقليدها و مرعاة مقوماتها وأصولها، ومن أجل ذلك كثرت الأشكال الموروثة من المقدمات في أوائل القصائد الأموية.

المقدمة الطللية: وتعد هذه المقدمة من أشهر المقدمات التي استهل بها الفحول، جرير، الأخطل، الفرزدق قصائدهم مرددين تقاليدها وعناصرها في مطالع قصائدهم. وأول شكل من أشكالهم وصفهم للديار وما بقي من آثارها وما حل بها بعد مجر أهلها لها أما الشكل الثاني هو وصف محبوباتهم والشكل الثالث يتبدلون وصف المحبوبة بوصف ظعائنها وأول ما نقف عنده مقدمة الفرزدق "قد افتتح ما يقرب عن عشرة قصائد بوصف الأطلال" ومنها مطلع نقيصته الدالية التي يهجوا فيها جريرا ويفتخر بقومه يقول:

عَرفْتْ المنَازل من مَهد و كُوحِي الزبور لدى الفر قد

أناخَتْ به كل رجَاسَة وسَاكبَه الماء لم ترْعَد[3]

[1]-ينظر: تاريخ الأدب العربي في العصر الإسلامي، شوقي ضيف، مصر، دط، دت، ص:259.
[2]-ديوان الفرزدق، الفرزدق، مطبعة الصاوي، ص:667
[3]-المصدر نفسه، ص:202

فقد استهل نقيضته بوصف الأطلال الدارسة، فيصور لنا منظر الديار وتمسك بمعظم مقوماتها وتقاليدها المتعارف عليها.

ويقول أيضا في مديحه للوليد بن عبد الملك:

حتى المنازل بين السَفْحِ الرحب لم يبْقَ غَيرَ وُثُوم الَنارِ والحَطَبِ

وعفو خالدات تحمل أهله وطاس حبشي اللون ذي طيب

أما عن الجرير فلا ينافسه أحد في هذا الميدان <<وهذا شهادة القدماء فما أكثر ما أثنوا عليه ثناءا عاطرا، معترفين بمقدرته على الطيران والتحليق حتى يعلوا على غيره علوا كبيرا>>[1] . وقد تغنى بالأطلال غناءا حزين ما يقارب إحدى وأربعين مرة منها فاتحة قصيدته الحائية التي يقول فيها:

أريْتُ بعَينيكَ الدموع السوافح فلا العهد حسني ولا الربيع بارح

محاطلا بين المشيفة فالنقا صبّا راحة أو ذو جبين رائ

فهو يحدد الأصول القديمة التي حرص عليها كذكر مكان المنزل وما حل به بعد رحيل أهله عنه أشهرها تحية الديار والتسليم عليها.

كذلك استخدامه بعض الصور التي استخدمها الجاهليون<<كأن يشبه ديارها عتبه المطموسة بالكناية الدراسة يقول[2]:

كأن ديار الحي من قدم البلى قراطيس رهبان أحالت سطورها"

كما نجد عنده مقدمات صور فيها المنازل وظعائن محبوبته التي رحلت عنها فهو يقول: فاتحة قصيدته في هجاء الأخطل التي يقول فيها:

قل للديار سقي أطلالك المطر قد هجت شوقا وماذا تنفع الذكر؟

أسقيت محتفلا بشيء وأبله أو هاطلا مرتعنا صوبه وورر[3]

[1]-الشعر والشعراء، ابن قتيبة، ص:376
[2]-الأخطل-شعره-، ص:204
[3]-ديوان اللأخطل،الأخطل ص:196

من خلال هاته الأمثلة يتضح لنا كيف أن الشعراء الفحول قد أكثروا من افتتاح مقطوعاتهم بوصف الأطلال "كما أنهم لا يتخذون وصف الأطلال وما أصابها من التغيير والدثور وسيلة إلى الحديث عن الحياة، ومشاكلها إنما هم يصفونها وصفا يضمنونه ألمهم لعفائها، وحزنهم على خلوها من أهلها تماما كما كان يغفل أسلافهم الجاهليين"[1]

"وتفرد ذو غيلان بن عفة من بين الشعراء الأمويين بأنه تخصص في وصف الأطلال والتقديم بوصفها لمطولاته، فإنه لم يعدجل عنها إلى سواها إلا مرتين وصف فيهما طعن أما بعد ذلك فنحن لا نفتح ديوانه ولا نتصفح قصائده حتى يطالعنا وصف الأطلال في صورها لأنه جمع معظم مقوماتها مع تحديد لمواقع الديار والتسليم عليها ويكاد من فيها وإحصاء لما غير تلك المعالم من رياح عاصفة وأمطار غزيرة"[2]

وقد تميزت مقدماته الطللية بالحيوية والصدق فهو يصور لنا ذكرياته مع صاحبته التي كانت له ذكريات كثيرة معها في تلك الأماكن.

قد اهتم كذلك الشعراء الغزليون والعذريون بالمقدمات الطللية وأخذوا بدورهم يفتتحون قصائدهم بها. فتصف المطالع التي رسمها نابغة بن شيبان للأطلال في مطالع قصائده بالطول والتفصيل، أما مقدمات عبيد الله بن قيس فقد اتخذ من الشكل القديم للمقدمة الطللية منبرا للتعبير عن آرائه السياسية.[3] فقد كان مناهضا للأمويين حاقدا عليهم، فالخلافة في رأيه يجلب أن تسلب من بني أمية وتعود إلى قريش، ويقول في مطلع قصيدته الهمزية يصور لنا مذهبه السياسي يقول:

أقفرت بعد عبد شمس كداء فكدي فالركن فالبطحماء

فمن فالحمار من عبد شمس مقفرات فبلدح فحراء[4]

وتميز عمر بن أبي ربيعة بافتتاح قصائده الغزلية بوصف الأطلال وكان يوزع مقدماته إلى قسمين:

[1]-مقدمة القصيدة العربية في العصر الأموي، حسين عطوان، ص:68
[2]- ينظر: المرجع نفسه، ص:117-118
[3]-ينظر: مقدمة القصيدة العربية في العصر الأموي، ص:165.
[4]-ديوان عبيد الله بن قيس، عبيد الله بن قيس، بيروت، دط، دت، ص:87.

قسم لم يحرص فيه على جميع التقاليد حيث يقول:

يا صاحبي قفا نستخبر الدار أو قوت فهجت لنا بالنعن أذكارا

بندل الربع ممن كان يسكنه أدر الظباء به يمشين اسطارا

وقد أحدى مره به سربا حسنا مثل الجاذر أشيابا وأبكارا [1]

أما القسم الثاني فيكاد يستوفي في الكثرة الغالبة من التقاليد المرسومة.

ويتضح من خلال ما قدمناه من أمثلة أن سائر الشعراء في هذه الحقبة حافظوا على الاستهلال بالمقدمة الطللية وتمسكوا فيها بالتقاليد.

-المقدمة الغزلية: احتلت المقدمة الغزلية مكانة كبيرة عند الشعراء الفحول ومقدماتهم لا تتفق في المضمون والشكل في المعنى والمبنى بل تختلف اختلافا يميز كلاّ منهم عن غيره، فالفرزدق يقدم لنا في قصيدته الفائية في الافتخار بقومه وهجاء جرير يقول فيها:

عزفت بأعشاشي وما كنت تعرف وأنكرت من حدرا وما كنت تعرف

ولج بك الهجران حتى كأنها ترى الموت في البيت الذي كنت تليف[2]

وقد تميز غزله باختيار معاني وألفاظ مناسبة وهي صفة تجعل غزله شبيها لغزل الشعراء الجاهليين، أما شعر الأخطل فنجد ما يقارب سبع مقدمات غزلية لا تخرج عن إطار المعاني والمباني الجاهلية.

وكان جرير يتفوق على صاحبيه في المقدمة الغزلية في صور قصائده وقد تميزت بالعذوبة التي أشاعها فيها.

أما الفرزدق والأخطل فقد اهتما بالجانب الحسي أكثر من الجانب المعنوي فقد انشغلا بالمحاسن والمفاتن الجسدية، وقد اختلفت مقدمات ابن قيس الرقيات اختلافا كبيرا عن مقدمات سائر الشعراء الغزليين، فتميز عنهم بأنه صدر بعض قصائده بالغزل السياسي الذي تشيب فيه بنساء الأمويين نكابة بهم وإغاظة لهم، ويقول في

[1] -ديوان عمر بن أبي ربيعة، شرح: محمد محي الدين عبد الحميد، ص:120
[2] -ديوان الفرزدق،الفرزدق،ص:551.

هذا الصدر في افتتاح قصيدته الكافية التي يمتدح فيها مصعب بن الزبير والتي شيب فيها بعاتكه بنت يزيد بن معاوية احدى أزواج عبد الملك يقول:

أعَاتكُ بنتُ العبْشُمِيةِ عَاتِكًا أثي أمْرا أمْسَى بحُبكِ هَالِكًا

يَدكَ لي اثْرا جهْل قتلتني كَذلِكَ يقتُلْنَ الرجالَ كَذلكَ[1]

ومن الواضح أن معظم الشعراء لم يبتكروا أشكالا جديدة في المقدمات بل ظلوا يفتتحون مطولاتهم بالأشكال القديمة مع تجديدات قليلة فإذا تقفنا النظر في دواوين الشعراء الأمويين نلتمس الافتتاحات المستحدثة فيها لم نجد سوى مقدمة واحدة مخترعة والتي اتخذها الأخطل في مقدمات قصائده ولقد أباحت نصرانيته أن يضمن مقدمات قصائده وهو يصف محاسن محبوبته تشبيها لرضا بها بطعم الخمر، وأن يتوسع في استغلال تلك الظاهرة الجاهلية ويبعث الحياة فيها فتجده يقول في إحدى مطالع قصيدته:

أعَاذلُ مَا عَليك بأنْ تَريني ُأبَا كرَ قَهوةً فيهَا احْمرارْ[2]

وعلى هذا النحو أخذ الأخطل يتوسع في مقدماته الخمرية للهوه وعبشع ومجونه ويشيع فيها وصفه للخمر وتهالكه عليها ومنها قصيدته الأمية التي يقول فيها:

عزُ الشَرَاب فَأقبلتْ مَشْروبَةً هَدرَ الدنَان بهَا هَديرُ الأفحَل

وَتَغطيْتُ أيامَها في شَارف نقَلتُ أقَاربه وَلما يَنقُل[3]

فهو يصف الخمر التي كان يشربها وعن زقاقها وأباريقها، ولم يتخذ أحد من الشعراء الأمويين المشهورين أو المغمورين الأخطل إماما ومرجعا له، بل أعرضوا عنه جميعا وكأنهم رأو فيه خروجا على العادات والتقاليد الفنية والتعاليم الدينية[4] ولهذا أهملت مقدمته الخمرية ولم يكتب لها الانتشار والشيوع بين الشعراء بل ظلوا يفتتحون قصائدهم على منوال سابقيهم.

---

[1]-مقدمة القصيدة العربية في العصر الأموي، حسين عطوان، ص:198.
[2]- ديوان الأخطل، الأخطل-شعره- ص:207.
[3]- ديوان الأخطل، الأخطل-شعره- ص:291
[4]-ينظر: مقدمة القصيدة العربية في العصر الأموي،حسين عطوان ،ص:31.

هاهو جرير يسترسل في مقدماته الغزلية التي تميزت بالأسلوب السهل والألفاظ والواضحة الرزينة. منها قصيدته العينية التي صح فيها عبد الملك ابن مروان، ووصف الجانب المعنوي في صاحباته، كما أنه متردد في هجر أم العمر ووصلها كما نجده يصفها بأجمل الصفات الحسية وكم أنها متدينة وطاهرة كما أنها مسلمة لا تذهب الى الكنائس وتصون نفسها لدرجة أن تزور عنه وترده خائبا يقول:[1]

أواصلَ أنتَ أمّ العمر أم تَدَع أمَ تَقَطع الحبْل منْهم مْثل مَا قطَعُواْ

تمَتْ جَمالاً وديناً ليستقربها قسّ النصَارى ولا مَن همهَا البيْعُ

مَنْ زَائر زارَ غلة هيمان عَن شَرع لَوْ شئْتَ روّى غَليل الهائم الشَرعُ

ويعد عمر ذا جميل بن معمر في قصائده الغزلية يتغزل بمحبوبته بثينة التي عبر فيها عن أشواقه وحبه لها يقول في مطلع قصيدته العينية:[2]

أهاجك أمْ لا بالمداخل مربَع ودَار بأجْراع الغديريْن نلقحُ

ديار لليلى نحلُ بها معًا وإذَا نحنَ منْها في المودَة نَطمَحُ

-الشعر السياسي: هو من الفنون التي تعد مستحدثة في الإسلام وقد كانت نشأته ظاهرة طبيعية دعت إليها الحياة الجديدة وما كان من صراع بين الأحزاب السياسية التي تكونت في العهد الأموي مع تباين آرائها وأفكارها المختلفة حول نظام الحكم.

وقد كان الشعر السياسي يمثل الصورة الصحيحة لحياة الأحزاب التي يناضل عنها وينطق بلسانها وقد ظفر كل منها بحظ فليل أو كثير في الحكم. فكانت سياسية خاصة ميزته عن غيره من الأحزاب. ودافع الشعراء عن سياسة الحزب في الحكم كما دافعوا عن الأصل الذي قام عليه.

-قد مثل الشعر السياسي مجموعة من الشعراء وعلى رأسهم الأخطل الذي ناصر ودافع عن الحزب الأموي وسياستهم في الحكم ومن قصائد هنجد قصيدته الرائية

[1]-المرجع نفسه، ديوان جميل بن معمر، مصر، د ط، دت ص، :73.
[2]-ديوان جميل بن معمر، مصر، ص:117.

التي مدح فيها عبد الملك ووصفه بالبأس والجود وإيثار المسلمين بالخير والمهارة في تدبير الأمور وقيادة الجيش وقهر الأعداء يقول:[1]

إنّ امرئ لا تعدينا نوافله أظفره الله فليهنأ له الظفر

الخائض العمر والميمون طائرة خليفة الله يشقى به المطر

وما الفرات إذا جاشت دوالبه في حاشية وفي أوساطه العشر

تشير القصيدة على وثيرة واحدة من السياق السياسي التي تتعدد أشكاله في صح بني أمية وإعلان ولائه السياسي واستعداده للدفاع عنهم والانتصار لهم، يقول:

بني أمية قَدْ ناضَلتْ دونكَم أبنْاء قَوم هُم أواوهم نَصَروْا

أقْحمتُ عَنكم بَني النجَارة عَلمت عُلياً مَعد وَكانوا َطالما هَدَروْا

وكان الشعر السياسي يخضع لوثيرة متشابهة لدى جميع الشعراء فقد كان كل شاعر بثوبه لهجاء أعدائه من إتباع الحزب الآخر ثم يليه بالمدح والثناء على حزبه وزعيمه والافتخار الولاء له. وهذا ما نجده عند عبد الله قيس بن الرقيات شاعر الزبير بين حين رد على أعداد حزبه من الخوارج حين قالوا أن الخلافة لعامة المسلمين موضحا أحقبة قريش باستحواذها يقول:[2]

حَبذَا العَيشَ حين قَومِي جَميْعُ لم تفرق أمُورَها الأهوْاء

فبل أن تطمع القبائل في مل كَ قريش وتشمت الأعدَاء

أيها المشتهِي فناء قريش بِيَد الله عُمرهَا والفنَاء

أنْ تودع من البلادُ قريشْ لا يَكنْ بعدهُم الحَي بَقاء

أما شعراء الخوارج فقد جاء شعرهم السياسي يعبر تعبيرا صادقا عن طبيعة غلوهم واستعانتهم دفاعا عن عقيدتهم في الرأي والدين وإصرارهم على القتال والحرب في سبيل دعاوي آمنوا بها وفي هذا الصدد يقول الدكتور شوقي ضيف:

[1]-ديوان الأخطل، الأخطل، ص:103.
[2]-ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات، عبيد الله بن قيس الرقيات، ص:88.

"كان أخلاصهم لدينهم عظيما غير أنمهم ظلوا عن الحجة اذ مضوا يشعرون سيوفهم ويسلونها على المسلمين كأن الإسلام لا يحيا إلا في معسكراتهم. وبذلك مزقوا الجماعة الإسلامية... وظلت عقيدتهم كأنها مبدأ ثوري يدعوهم دائما إلى الحرب والقتال وكانوا أتقياء ولكنهم من غير شك كانوا غالبين في نضالهم فقد رفضوا الدنيا واستحلوا ماء إخوانهم المسلمين..."[1]

وهذا ما نراه عند الشاعر عمر بن خطاب الذي كان يشيد ويفتخر بصيغ منجم المرادي ولاسيما قتلهم عليا بن أبي طالب في قوله:

لله در المرادي الَذي سَفكت ْكَفاة مجهْجَة شَرُ الخلْق إنسانًا

يا ضربة من تقي ما أ راد بهَا إلا ليبلغ من ذيْ العرْش رضْوانًا

أني لأذكُره يوما فأحِبه أدنى البرية عنْد الله ميزانَا

وقد نما الهجاء في العصر الأموي نموا هائلا وأصبح الأداة الفعالة للدفاع عن الأحزاب التي نشأت في هذا العصر فكان كل حزب سياسته الخاصة. وبالإضافة إلى هذه الأحزاب عادت العصبيات القبلية ونمت الصراعات بين القبائل اليمنية والشمالية، كما ظهرت عصبيات جديدة أطلق عليها الشعرية أي الصراع بين العرب والعجم الذين كرثوا وارتفع شأنهم.

وكانت القبائل تحشد في المربد وفي الكنائس، وحول الشعراء يستمعون إلى ما ينشدونه في الهجاء وكأنهم وجدوا فيه لهو ألمهم وتسلية حينئذ تحول فن الهجاء من فن مقتي منقطع إلى فن دائم مستمر يحترفه الشاعر فالنقائض هي عبارة عن هجاء دائم ومستمر وعبارة عن احتراف لفن الهجاء والنقائض بعد هذا كله مناضرات أدبية أوجدتها ظروف عقلية واجتماعية في العصر الأموي كونها أهاجي بالمعنى القديم المعروف في الجاهلية ومع ذلك كان النزاع القبلي مادة رئيسية في فن النقائض ذلك الفن الذي تضاءل شأنه بعد انتهاء جيل **الفرزدق، جرير، الأخطل،** حتى لم تعد له في القرن الثاني قائمة إلا من بقية طئيلة في أول هذا القرن لم توجد فيها العناصر الفنية للنقائض التي كانت بين هؤلاء الشعراء الثلاثة وتشمل لنا هذه

[1]-العصر الإسلامي، شوقي ضيف، ص:202.

البقية في النقائض التي كانت بين بن ميادة والحكم الحضري بل اقتصرت فيما بعد على نزاع قبلي محض. فارتدت بذلك إلى فن النقائض البدائي الذي كان موجودا في والجاهلية، والمحور الرئيسي في النقيضة هو الشاعر أن يفسد كل المعاني التي جاء بها الشاعر الأول فيردها عليه ويكذبه فيها أو يقلل من شأن ما افتخر به ومنه جاء على لسان العباسى بن يزيد الكندي* يرد على جرير، حينما هجا هذا الأخير الداعي النميري[1]

إذا غضبْتْ عليكَ بنُو تميم حَسبتَ النَّاس كلُّهُم غضبانا

04/- في العصر العباسي:

المقدمة الطللية :طرأ على هده الأخير الكثيرة من التغير والتجديد سواء من الناحية الموضوعية أومن الناحية الفنية فهي من الناحية الموضوعية لم تعد أوعية تسكب فيها الدموع حسرة على المنازل الدائرة وعهود الحبادبل تحولت عند بعضهم إلى منابر يعلنون من فوقها أرائهم في الحياة[2]

وهذه الأبيات التي استهل بها بشار بن برد أرجوزته البائية في مدح عقبة بن سلم فأنه ضمنه فنونا من هذه المعاني يقول بشار:

يَادار بين الفَرع والجناب عفَا عَليها عقب الأحْقَابِ

قَد ذَهبت و العيش للذهابِ لما عَرفناهَا عَلى الخَرابِ

نَاديت هَلْ استمع منْ الجَوابِ ومَا بدار الحَي منْ كَرابِ[3]

وكانوا يخففون من بعض المظاهر البدوية لهذه المقدمة فيقول أشبع السلمي في صدر مدخنة التائية لجعفد بن يحي:

قفَا بأطلال لسَدى دراسَات موحشَاتِ

وبها وحش فُلاة كالظباء الأنسَاتِ

*- شاعر كندي هجا جريرا منتصرا لبني خمير، وهو أحد الشعراء الذين أسقطهم جرير ومن تصدوا له

1-ديوان جرير، دار الطباعة والنشر، 1986،ص:84.

2-دراسة التطور الفني للقصيدة العربية في العصر العباسي، الجزائر، دط، دت، ص:520

3-ديوان بشار بن برد،بشار بن برد'تح:الطاهربن عاشور، التأليف و الترجمة، مصر، دط، دت، ص:140

كن أسباب المنَايا وَمحل الشَهواتِ[1]

فهو لم يذكر فيها إلا الوقوف والوصف العام للديار به فهو بذلك يهمل كثيرًا من مقومات المقدمة الطللية وتقاليد ها ،وأما الناحية الفنية لهذه المقدمة ‘فهم يهتمون في استحداث صور كثيرة يشترونها في تصاعيف مقدما تهم وتتمثل هذه التشبهات التى شبه ابقايا وأتو الديار وما حصل له من بعد مجران أصله فهذا أبو تمام يشبه الحجارة التى تنصب عليها القدور في سوادها بالحدود الملفومة يقول:

أثاف كالحدود لطمن حزنا ونوى مثلما انفصم السوار[2]

أما أبو نواس فيشبهه قطعان الظباء وهي تنتقل في أرجائها بشاعا لروميات مفرغات من هوان الأسر يقول:

تمر بها عفر الظباء كأنها أخا دير من رحم يقسمن في نهب[3]

يقول أيضا:

لا تَبْك ليلى ولا تَطْرب إلى هند واشْرب على الوَرْد من حَمْراء كَالْوردِ

كأسًا إذا انْحدَرت في حَلْق شاربها أخذته حُمرَتُها في العَين واليَدِ

عَاجَ الشَقيُ على دَار يُسائلُها وعجب اسْأل عَنْ خَمارَة البَلدِ

يَبْكي على طَلَل الماضي من أَسد لا دُرَدُرك قُل لي مَن بنُو أسد[4]

ونلاحظ من خلال قراءتنا للشعر أبي نواس أنه لا يستغرق المقدمة الطللية بتقاليدها الجاهلية إلا حين يكون أمام ممدوح يهيبه كالرشيد مثلا، أما حين يكون يسنه وبين

[1] - قسم أخبار الشعراء، الصولي الاوراق، مطبعة الصاوي، دط، دت، ص:93
[2] -ديوان أبي تمام، حبيب بن أوس الطائي ، مصر،دط، دت، ص :152.
[3] -ديوان أبو نواس الحسن ، أبو نواس ،تح: أحمد عبد المجيد الغزالي، بيروت، ص:510.
[4] - المصدر نفسه ، ص:47.

الممدوح ألفة وقلة احتشام، فإنه يساير طبيعته، فيمهد لمطلع قصيدته بالخمر أو الغزل بالمذكر، أو يبدأ بذكر الطلل، ويتخلص منه سريعا بالهجو والتحكم وينصرف إلى لهوه وملذاته، كقوله في مطلع قصيدته التي مدح بها عبد الله بن منصور:

ديَار نُورا ما ديَار نُوار كَسَوْنَكَ شَبعوُا من منه عُوار

يَقُولوُنَ في الشَيْب وقَار لأهْله وَشَيبْي بحَمْد الله غَيْر وَقَار[1]

أما البحتري يوحه قصيدته السينية بوحي من الوقوف على الأطلال والرحلة إلى الممدوح فيضمن أثارا قديمة معنى جديدا أبدع فيه أيما ابداع، يقول:

متَتْ نفَسي كَما يرنس نفسي وترفعت عن جراكل نفسي

حصرت رحلي الهجوم فوجه ت، إلى أبيض المدائف عسني[2]

ـالمقدمة الغزلية في العصر العباسي الأول:

ظهرت مظاهر تجديدية كثيرة تتصل بمضمون المقدمة الغزلية وشكلها "فكان الشعراء في العصر العباسي الأول يكثرون من ذكر الواشي أو الحسود الذي يفسد ما بين المحبين من صلات بدلا من ذكر الحارس والتقريب الذين كانوا من أهم مميزات الغزل القديم وكانوا يكثرون في شرح لهفتهم وتباريح عرامهم"[3].

أما ما يخص الجانب الشكلي"فنجدهم ينأون عن خلافة البدو، وحيفاء الأعراب فكانوا يتأتون ويلبسون كلماتهم أرق وأعذب المعاني إذ كانوا يختارون لكثير من القصائد التي افتتحوها بالغزل أقصر الأوزان وأعذبها"[4] هذه الأبيات التي افتتح بها مطبع بن إياس قصيدته النونية في هجاء من يسمى إياس همان التي يقول فيها:

مَيْلي مِمنْ جَفَاني وحُبه قَدكراني اعزلي لبدر نعشى بحسنه العينان

---

[1]-ديوان أبو نواس,أبو نواس، ص:48

[2]- ديوان البحتري،البحتري' دار صادر للطباعة، بيروت، ص:190

[3]-ينظر: مقدمة القصيدة العربية في العصر العباسي الأول حسين عطوان' ص:26

[4]-ينظر: دراسة تطور القصيدة العربية في العصر العباسي الأول، ص:620

بارى لا تعذلني في حبه ودَعاني فَربَّ يوم قصير في جوسق وجان[1]

ويعتبر الغزل من بين الموضوعات التي فتن بها بشار بن برد، ويجب الفصل بين غزل بشار ومطالعه الغزلية، "فإن أكثر غزله يتصف بالتعمير، ويدعو في دعوة صريحة إلى الفسق ويصور جوعه الجنسي، وتهالكه على التمتع بالمرأة وما كان لفقده بصره من أثر أدكابه إلى أن يكون إحساسه بالعمى إحساسا ماديا يعتمد على الشعور واللمس والسمع"[2]

أما مطالعه الغزلية فتختلف اختلافا واضحا عن غزله، لأنه لم يقدر أن يعلن فيها بثورته على المجتمع وخروجه عن عاداته وتقاليده "وذلك لسبب بسيط أنه كان ينشرها بين أيدي الخلفاء والولاة ممن كانوا يتولون رعاية شؤون المسلمين ويحافظون على الآداب العامة على حين كان يذيع مقطوعاته الغزلية الفاجرة في مجالسة الخاصة البعيدة عن الأجواء الرسمية"[3]

فكان بشار يمزح بين الغزل العربي القديم بروحه البدوية، وبين المعاني وهذا ما توضحه مطالع قصيدته البائية في مدح روح بن حاتم يقول:

أَصَفْراءُ ما في العَيْش بحَدكَ مُرْغَبُ ولا للنَصْب مَلْهى فأَلهَو وأَلعْبُ

أَصفرَاءُ، هاَنَ اهلُكَ فأنْتَ قَتلتني وإن طَالَ بن سَقْم قَدْ تَبك
أَصفرَاء أيامَ النَعيم لَذيذَة وأنْتَ مع البؤس أَلَذُ وأَطْيَبُ

أَصَفْراء في قَلْبي عَليْك حرَارة وفي كَبدي الهَيْماَءُ نار تلْهَبُ[4]

الخمر:

[1] - منتخبات الأدب العربي،حنا الفاخوري' بيروت، ص:323
[2] - تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الأول، شوقي ضيف، دار المعارف مصر، ص:216.
[3] -حسين عطوان، مقدمة القصيدة العربية في العصر العباسي الأول، ص70
[4] -بشار بن برد، الطاهر بن عاشور، ص:340

حفل الأدب العباسي بالخمرة وصفاتها لانتشار الشراب فيما بين العامة والخاصة وكان ذلك استجابة لدعوة الحياة الاجتماعية كما كان امتدادا لطقوس دينية فارسية تجعل الخمر مقدسة وتجعل شربها بين أيدي ألهتهم نوعا من العبادة ووسيلة من وسائل التقرب والتزلق إليهم. وهذا ما يفسر لنا تقديس أبي نواس وأضرابه للخمرة ونعتهم لها بالأسماء الحسنى قال الزهيري: "يتضح لنا مما تقدم أن الشراب والغناء في هذا العصر كان يرضيان ميولا روحية تتصل بالماضي، وحاجات نفسية تتصل بالحاضر، فلا عجب بعد ذلك إذا ما تقبلهما المجتمع قولا حسنا فانهمك الناس فيهما انهماكا شديدا، ولا عجب أيضا إذا ما اندفع الأدباء تحت تأثير هذا التيار الجارف واستجابوا لرغباتهم الخاصة، ولرغبات مهد وحيهم وأهل عصرهم عموما، فأكثروا من وصف الخمر والغناء و وصف مجالسها وآلاتهما وجاهروا بالدعوة غلى ممارستها في شيء كثير جدا من الحماسة، وبالغوا في هذا كله حتى جرهم إلى الإلحاد والزندقة والاستهتار بالدين... لا نريد من هذا كلّه أن نرمي أهل العصر بالكفر والإلحاد والخروج على الدين عامدين متعمدين، فقد كانوا يعتبرون أنفسهم مسلمين، ولكننا نريد أن نقول إنّ مفهوم الدين عندهم قد استحال وتبدّل، بما شاب حياتهم الروحية من نزعات وأهواء هي وليدة التراث الفارسي الذي حيي من جديد، وصدى للحياة الاجتماعية التي خضعوا لها حينذاك، الأمر الذي جعل مثلهم الأعلى في الحياة: خمرا واحنا وسياقيا وقصفا ولهوا و خلاعة"[1]

ـالمقدمة الخمرية: ومن الطبيعي أن ما عرف عن أبي نواس من التماجن و الإسراف في التعاتب هو الذي حال بينه وبين افتتح مدائحه في الرشيد الجليل الوقور بوصف الخمر وإلا فإننا سنرى غيره من الشعراء الذين لم يكونوا يمنحون مجونه ويقصفون قصفه، بل كانوا يحسمون في لهوهم ويستترون في بطالتهم يقدمون لبعض مدائحهم في الرشيد بوصف الخمر بل نحن سنرى أبا العتاهية يمدح الهادي الذي ولى الخلافة قبل الرشيد بقصيدة استهلها بوصف مجلس من مجالس لهوه العامرة بالخمر والقيان.

[1]- الموجز في الأدب العربي وتاريخه، حنا الفاخوري، دار الجيل، بيروت، ص:280-281

والصورة العامة لمقدماته الخمرية أنه يصور إدمانه الخمر وعبادته لها وأوقات شربه اياها، واصفا كؤوسها وصفاتها، ومينا‌عتها وصفاءها وآثارها الواسعة في رؤوس مشاربها، وما تبعته من النشوة والفرحة في نفوسهم.[1]

ونختار له منها فاتحة قصيدته السينية في مدح الأميين، وهي تجري على هذا النمط:

نبّه نَديمُكَ قدْ نعيس يَسْقيكَ كأْسًا في الغُلُسْ
صَرفًا كَأنَّ شعَاعُها في كَف مَشاربها قبَسْ
مما نخيّر كَرمَها كسْرَى بعَانةَ واعترسْ
هَذرُ الفَتى وكَأَنمَّا بلسانه منْهَا غُرَسْ[2]

وليس هذه المحاولات الجزئية التي قام بها أبو نواس نظريا وعلميا لم تذهب أدراج الرياح بحيث لم تترك أي أثر في ؤمعاصريه وخالفيه من الشعراء ولا كتب لها البقاء والاستمرار كما يظن بعض الدارسين، وإنما كان لها نتيجتان أولهما: أن بعض معاصريه اقتنعوا بمذهب ويترابه كما أن بعض الشعراء حذوا حذوه مفتتحين غير مدحة من مدائحهم بوصف الخمر... ونجد في العصر العباسي الثاني شعراء نهجوا على منواله أمثال ابن الرومي، وابن المعتز على اختلافهم على هذا التقليد وسيلة للتعبير عن حياتهم وتجاربهم، التي كانوا يعيشونها في بيئتهم بيئة المجون والعبث والتحلل من القيم وأخلاق.[3]

فهذا أبو العتاهية يصدر مدحته الرائية للخليفة الهادي بالحديث عن لهوه مع رفاقه من الخلفاء الغزليين، وما طوى فيه من ساعات كانوا يتعاطون فيها خمرا مصفاة يدور بكؤوسها عليهم ساق صغير عزيز، يقول:

لهفْي عَلى الزَمَن القَصيْر بَيْنَ الخورنَق والسَّدير
إذْ نَحنُ في غرُف الجنَا ن نقُومُ في بَحْر السُرُور

[1]-مقدمة القصيدة العربية في العصر العباسي الأول، حسين عطوان، ص:117-118
[2]-المرجع نفسه، ص:117-118
[3]- مقدمة القصيدة العربية في العصر العباسي الأول، حسين عطوان ص:120-121

في قتيبة مَلَكُوا عَيْنَا ن الدَّهَر أَمثَال الصُقُور
مَا منهُم إلا الجُسو ر عَلَى الهَوى غَيْرَ الحُصُور
يتَعاَودُون مدَامة صَهْباَءَ منْ حَلبْ العَصْر
عَذرَاء ربَّاها شُعا عُ الشَمْس في حَّر الهَجيْر

فهو يصف انغماسه في الخمر وتهالكه عليها قبل أن تنبلج أضواء الصاح، وكيف أنها من نوح جيد مجلوب من الكروم التي زرعها كسرى وحافظ عليها، وكيف أنها لصفائها تبدو وفي كأسها كأنها شعاعة من نور كما يصف ما تفحله في بعقل شاربها، وكيف إنها تعقد لسانه عن الكلام وتذهب بقوته حتى إنه إذا نودي رفع رأسه ثم صرع لغلبة السكر عليه. ويصف أيضا ساقيها ناعس العينين ساحرا الجنتين، وتأنثه الذي يسبي الأفئدة والقلوب.[1]

ومن أهم ما تتصف به مقدماته الخمرية فضلا عن إكثاره منها ونتره للصور النادرة فيها نصوصه ألفاظها ورفتها، وسهولة معانيها وطرقاتها ورشاقة موسيقاها وحفنها كما رأينا في المقدمتين السابقتين وكما نرى في أبياته التي افتتح بها مدحته للعباس بن عبد الله الهاشمي والتي تنساب على هذا النحو:

غَرَّدَ الديْك الصَّروخ فاسْقني طَابَ الصُبوحُ
واسْقيني حتى ترَاني حَسَناً عنْدي القبَيحُ
قَهْوة تذْكُر نوحاً حينَ شَاد الفلك نوحُ
نحن نخفيها ويأبى طيْبَ ريحَ مفتوحُ[2]

والأبيات أشبه بمقطوعة موسيقية راقصة تمتاز به من خفة وزنها، مجزوء الرمل من تتابع حركاته التي حقها ومن سهولة كلماتها و رشاقتها، ومن هذه النغمات تتولد من تكرار حرف الحاء في أكثر أبياتها:

لمْ تَدْنُ منْ نَار ولمْ يحلَق بها وضَرُ القُدُور

[1]- ينظر:المرجع نفسه ص:120.
[2]- مقدمة القصيدة العربية في العصر العباسي الأول ، ص120

و مقَرطَفٌ يمَشي أمَا مَ القَوم كالرَّشا الغرير

بزُجَاجة تسْتَخْرجُ السّ رَ الدَفيْنَ من الضَّمير[1]

فهو يذيع تبذلانه في أول مدحته كما أذاعها أبو نواس، وهو يصطفى أسهل الألفاظ وأرق الكلمات وهو يعمد إلى أرشق البحور بل إلى مجزوء الكامل، وبذلك لا يختلف عن أبي نواس في شيء بل يشركه في كل شيء فقد تبنى هذا التقليد الجديد وقدم به لمدحته في الهادي، كما انتخب أعذب الأساليب وأسهلها وأقصرها الأوزان وأخفها.[2]

أما عند ابن الرومي ليس لديه سوى خمسة مقدمات خمرية تمثل الجانب اللاهي لعلبت من حباته، فقد تحدث فيها عن مجالس لهوه، ووصف الخمر الساقيه مرتسما خط أبي نواس، دون أن يلحق به، فتسمعه يقول في مطلع احدى قصائده المدح والفخر:

ربَت إلى رَيحانَه الأنْفُ والقَلبُ وأعْما لهُا بين العَوازق والشرب

ولا عَيْشَ إلا بَيْنَ أكْوَاب قوارتُها عَقبَ من الفَرس منْ عَقَب

ترِدُ صَفاءَ العيَش مثل صَفَائها وتكْشفُ عَنْ ذي الكَرَب غاشَبة الكَرَب[3]

ـتطوير الأغراض القديمة:

وكانت أهم الأغراض التي تناولها الشعر القديم، المدح والهجاء والرثاء والوصف والغزل، وجاء تصرف الشعراء العباسيين بالتجديد في مثل هذه الموضوعات عبر صورتين واضحتين:

---

[1]-المرجع نفسه ، ص:121

[2]- مقدمة القصيدة العربية في العصر العباسي الأول ، ص:122

[3]-ينظر: ابن الرومي، حسين نصار، القاهرة، دط، دت، ص:206

الصورة الأولى: تجديد الأفكار المستخدمة في هذه الموضوعات وصبها بأفكار تتضح بثقافة الشاعر وعصره الجديد، فعرض المدح في الشعر القديم، ولاسيما الجاهلي منه يكاد ينحصر في معان بعينها كوصف الممدوح بالفروسية والشجاعة والكرم وشرف النفس وتلك حدود من الأخلاق بغت واستقرت في تقاليد المجتمع العربي لم يشأ الشعراء العباسيون أن يحيدوا عنها، و"نما أضافوا إليها معايير جديدة برزت على أثر الحياة الجديدة للمجتمع العباسي، وبخاصة العلاقة السياسية بين الحاكم ورعيته، فإذا بالشعراء يخلعون على ممدوحيتهم من الحكام صفات التدين والورع، وينعتونهم بسيرة الصالحين الذين يراعون الله في حفظ أمتهم وأمانتهم.

تجلي ذلك فيما نجد عند أبي العتاهية في مدح الخليفة هارون الرشيد، حيث قال:

وراَعَ يرُاعى في حفْظ أمّه يُدَافعُ عنَها الشَرّ غَير رُقُود

تحاض عن الدُّنيْا وأيقَنَ أنهّا مُفَارقَة ليْسَت بدَار خُلُود

وفيه كذلك يقول الشاعر منصور النميري:

بوُركَ هَارونَ من إمَام بطَاعَة الله ذى اعْتصَام

لَهُ إلى ذى الجَلاّل قُربى ليَسَتْ لعَدل ولا إمَام

وكذلك الأمر في بقية الأغراض الشعرية أعمل الشعراء المولّدون فيما تجديداتهم ومنحوا معانيها من مبتكراتهم فالهجاء يميل إلى الستفراق في السخرية، ومنه قول أبي تمام في وصف بخيل

قَدْكاَنَ يُعْجبُني لوْ أنَّ غيرَتَه على جرَازقه كانت على حُرمُه

انْ رَمَتْ قتَلتْه فافتك بخبْزَته فإنَ موقعَهَا منْ لَحْمه وَدَمه

وليس بأقل منه سخرية ابن الرومي في بخيل اسمه (عيسى) يقول فيه:

يقتر عيسَى على نفْسه وليْسَ بَبْقَ ولا خَالد

لَوْ يَسْتطعُ لتَعْتبرهُ تَنفس منْ مَنْخَر واحد

والوصف يميل إلى رصد المظاهر الحضارية الجديدة كالقصور والنوافير الجميلة، وما يحرى فيها من ظباء وغزلان من مثل قول أبي عينيه:

فيَا طَيبَ ذاك القَصْر قَصْرا ومنْزلاً بأَفْيَح سَهْل غَيرَ وعر ولا منْك

بفَرَس كَأبْكَار الجوَارى وقربه كأنَّ ثرَاهَا مَاء وَرْد على مسك

وسرب من الغزلان يرتعن حوله كما استل منظوم من الدّر من سلك[1]

أما الرثاء تتسع مجالاته حتى يرثي الشعراء المدن والبلاد التي نزلت بها كوارث، أو حل بها خراب، ولطالما كانت بغداد الوطن العزيز الذي سكبت من أجله عبرات الشعراء وذلك حين أضرعت فيما النيران من قبل الجيش الذي أحاط بها قبل مقتل الأمين مما جعل الكثير من أبنائها يبكونها بكاء مرّا مثل قواعد المالك الوراق:

من ذا أصابك يا بغداد بالعين أَلَمْ تَكُوني زَمانًا قُرة العين

ألم يَكُنْ فيْكَ قَوم كان مَسْكَنهُم وكان قُربهُم زيناً الزين

صَاحَ الغُرابُ بالين فأقتروا ماذا لقَيْتَ بهم من لوَعَة اليْن[2]

الصورة الثانية: وهي الموضوعات الجديدة التي شرع يستمدها الشعراء العباسيون من واقع عصرهم وحياتهم الاجتماعية والثقافية والتي كان أكثرها في هذا العصر، وصف الخمر وحاناته وحياة المجون، وكان أكثرها في هذا الفن ونهالك الناس عليه، ما أحدثه التغيير في المجتمع

من فساد الأخلاق وانحلال الروابط الاجتماعية، وتسلط الإماء على الحياة واستبدادهن بمكان الحرائر من الرجال، ويروزهن للناس واشتراكهن في حياة البت واللهو بهرا، أصف إلى ذلك ظهور المذاهب الفلسفية وتيارات من الملل والنحل التي تضرب في غير هدى، مما أذاع في الناس الشك والاضطراب في فكرهم وعقائدهم.

[1]-دراسات في عصور الادب العربي ,انور حميدو قشوان ص:213.
[2] - المرجع نفسه، ص:214.

وبعد أبو نواس رائد هذا الفن، ضفي كل دعواته التي هاجم فيها عادة الوقوف على الأطلال، وكان يحل بدلا منها دعوة للشراب الذي أبدع في وصفه وصفا مجالسه، من مثل قوله:

لاتَبْك ليْلى ولا تطْربْ إلى هنْد وأشْرُب على الوَرْد حَمْراء َكالوَرْد

فالخَمْرُ باقُوته والكَأسُ لُؤلُؤة في كَف جَارية ممشُوقةَ القدّ

تَسْقيكَ من يَدها خَمْراً فمن فَمها فمَالَك من سكير من بَّد[1]

على أن يعرض شعريا أخذ ظهر يمثل حركة، مضادة لتيارات الفسق والمجون والزندقة التي وصمت بها الحياة في العصر العباسي، وهو فن الزهد الذي شاع وشهد كثيرا من محاولات التجديد على يد غير قليل من الشعراء إلى الحد الذي تحول فيه من الفن ليس مجرد دعوة دينية فحسب ولكن فكرة ، ومذهب سلوكي يدعو الناس إلى التدين والصلاح ولطالما ذاع كثير من هؤلا ء الزهاد وأصحاب هذه الدعوة، أمثال الفضل بن عباض ومحمد بن سيرين وسفيان الثورى، ويحيى بن معاذ، وغيرهم، ومن ثم كان طبيعيا أن يظهر في هذا الوسط غير واحد من شعراء الزهد المجوّدين أمثال، أبى العتاهية ومحمود بن الحسن الورّاق ومحمد بن حازم الباهلي، وعبد الله بن المبارك المتوفى سنة 181م، وكانت فصال التقوى والزهد والصلاح، أكثر صفات التي دعا إليها الشعراء أن تكون مقياسا للفصل والافتخار كما في قول أبي العتاهية:

وعَنى منْ ذكْر أبّ وَجَدّ ونسَب بعُليكَ سوُر المجْد

ما الفَخْرُ إلاّ فَنُ التَقَى والزُهْدُ وطَاعَةُ تُعْطَى جنَان الُخلْد

[1] - دراسات في عصور الادب العربي ,انور حميدو قشوان، ص:214

الفصل الثاني

النزعة العقلية في بناء القصيدة لدى المتنبي

01-تأثره بالفلسفة.

02-تأثره بالقياس و المنطق.

03-الثقافة الهندية.

04-الثقافة اللغوية.

الفصل الثاني: النزعة العقلية في بناء القصيدة لدى المتنبي:

- ظهور النزعة العقلية وأثارها في العصر العباسي

إن الحركة العقلية التي شملت مجالات النشاط الفكري منذ بداية العصر العباسي قد مست مختلف مظاهر الحياة العقلية ومنها الشعر، ولهذا نجد تأثير الشعراء لهذه

النزعة العقلية قائما ولكن تأثيرهم بطبيعة الحال لم يكن بالمستوى واحد بل متفاوتا ومتباينا من شاعر إلى آخر.

والمتفقد لشعر المتنبي نجده قد استوحى واقع الحياة من الثقافة الفكرية وما تتوفر عليه من مخزون معرفي، فتأتي الكلمة وقتئذ في الغالب مدعومة بمأثر عقلي إقامة للدليل وتأكيدا لوجاهة المعنى وصدق الفكرة، فتصل بالمتلقي إلى حالة من الإقناع.كما تتميز حكم المتنبي بالثراء والغنى وخصوبة التجارب وتنوعها مع ارتباطها بثقافة الشاعر الواسعة وإمكانياته العقلية والنفسية الأمر الذي جعلها يمتزج فيها العقل بالشعور والموضوعية بالذاتية بأساس الفكرة ومطلقاتها من الوجود الواقعي المحسوس، وذاتية في إخراجها بالصور وتلوينها بألوان الخيال والتصور.[1]

ويكفي أن نقف على بيت شعري من أبياته يتوافر على الحكمة لتبين لنا هذه المزواجة بين العقل والفن يقول المتنبي.[2]

ما كُلُ ما يتَمَنَاهُ المَرْء يدْركُه تَجري الرياَح بما لا تَشتَهي السَفَنُ

الشطر الأول يتضمن خلاصة تجربة يؤيدها العقل من منظور واقع التناقض بين رغبات المرء في الحياة وبين المواقع العديدة التي تحول دون تحقيقها.[3]

لتأييد الفكرة الواردة في الشطر الأول يدعها بصورة حسية تشمل في كون الرياح تحول مجرى الأشرعة نحو طريقها المنشود.

إن فكرة الشطر الأول مكن صميم إدراك العقل المجرد ولتأييد هذا المعنى الناتج عن هذا العقل المجرد جاء الشاعر بصورة حسية تجسيد صدق المعنى وتدعمه ولا سبيل إلى رده لأن الصورة الحسية تعبر عن واقع قائم تؤيده الطبيعة وهذا الأسلوب في التعبير ضرب من قوة التأثير في العقل قبل القلب وضرب من الإبداع في تركيب المعنى وصوغ المبنى، ليس معنى هذا أن كل حكم المتنبي تتوافر على هذا المستوى الراقي المؤثر، لأن ظروف النظم تختلف زمانا ومكانا، والمواقف

[1] -الفن والأدب، عاصي مشال: منشورات المكتب التجاري، بيروت، 1970، ص:112.
[2] -التبيان في شرح الديوان، ديوان أبي الطيب المتنبي، أبي البقاء العكبري، ج3، مطبعة الحلبي، القاهرة، 1956، ص:67.
[3] - المصدر نفسه، ص:89.

تتباين والحالات النفسية للشاعر تتفاوت ولكن يكفي الشاعر أن تعتري قصائده ملامح واضحة تميزه عن غيره من قصائده أم في مجموع شعره [1] فإحساس المتنبي منذ صباه بطموح نفسه، وطموحة لايرضي إلا ما المعالي وتحقيق العظائم فكان يلهج بالمجد والسؤدد فهو يقول:[2]

ومَنْ يبْغ ما أبْغي من المجْد والعُلا تُسَاوي المحَابي عنْدهُ والمقَاتلَ

فهو يذكر في هذا البيت منهجه في الحياة بالنسبة إلى طلب الشرف والرتب العالية في سبيل طلهما تهون كل من الحياة والموت، ففي الشطر الأول وتحدد الشاعر مراده ومبتغاه وهو قرار يتعلق برغبته وطموحه والشطر الثاني يحوط مراده بما يحققه والقبول بالتعرض للمخاطر والمهالك استجابة لمنطق تحقيق الرغائب في المجد والعلا وهذا ما يؤكده بين آخر:

وإذا كانَتْ النفُوسُ كبارَا تَعبَتْ بفي مُرادُها الأجْسَام

والشاعر بهذا البيت يرد على من يظنون أن تحقيق عظمة الهمة وكبر النفس[3]وينبههم المتنبي في الشطر الثاني بأن منطق الحياة يقتضي منهم أن عظائم الهمم وكبر النفس لا تكون دانية القطوف إلا بالجد والدأب وتكبد المشاق، وبالنظر إلى أثر العقل بفي معنى هذا البيت ذهب بعض النقاد إلى أنه من الكلام آرسطوا، حيث قال آرسطوا: إدا كانت الشهوة فوق القدرة، كان هلاك الجسم دون بلاغ الشهوة[4].

غير أن ابن وكيع ينكر الاقتباس المتنبي من آرسطوا وأنه أخذ قوله من مأثور أقوال الشعراء أمثال ابن أبي زرعه الذي يقول:[5]

أَهْلُ مجْد لا يَحْفلُون إذانَا لوا جَسيماً أن تنْهَكَ الأَجسَامَ.

أو من قول الحصبي:[1]

[1] -المتنبي بين ناقديه، شعيب محمد عبد الرحمن، دار المعارف، القاهرة، 1964، ص120.
[2] -التبيان في الشرح الديوان، العكبري، ج3، ص:177.
[3] -المصدر نفسه، ص:345.
[4] -التبيان في شرح الديوان العكبري، ج:3 ص:45.
[5] -المصدر نفسه، ص:45.

نفْسيْ مُوكَلَةٌ بالمجْد تَطلبُه وطلَبُ المجْد قُرونُ به التَلَفُ.

والمعروف عن المتنبي شغفه وحبه للقراء والمطالعة وملازما للوراقين ومن ثمة فمعنى الحكمة الواردة في البيت ما هي إلا من ثمار مطالعاته الدائمة وإن كنا نميل إلى تأثره بابن أبي زرعه و الحصني لأن معنى حكمته يقترب كثيرا مما عبرا عنه في بيتهما ، ولأن أبا الطيب المتنبي كان متعصب للعنصر العربي ومن ثمة كان تواقا إلى إشاعة إحياء التراث الفكري العربي قبل غيره .ولعل الذين رجحوا تأثره بأرسطو، واعتمدوا على هذا الأثر العقلي في بناء البيت فالشاعر لم يقل –مثلا-: وإذا كانت النفوس كبار تحققت لها العظمة والرفعة لأن هذا المعنى لا ينسجم مع طبيعة الحياة، وإنما راح يبحث عن الفكرة التي تنهض بعظمة المرء وكبر نفسه فبعمق نظرة وانتشار عقله فجاء بالشطر الثاني بما يفيد أن رغبة المرء في طلب المعاني والعظائم تمر حتما عن طريق التعب والإرهاق بما تتكبده عن ضروب المعاناة في سبيل تحقيق الغاية المنشودة وكثيرا ما ترددت هذه المعاني في شعر الكلمة عند المتنبي ومن ذلك قوله:[2]

وحَال كإحْداهُنَ رسَتْ بلوُغُهَا ومن دُونهَا غُول الطَريق وبَعْدَه.

قوله كذلك:[3]

لَولَا المَشَقَةُ سأَء النَاسُ كُلهُم الجوُدَ يَفْقُر والإقْدَام قتاَل.

وقوله: [4]

لا يُدْرك الَمجْدَ إلا سَيدٌ فَطنٌ لما يشقُ على السَادَات فعَال

وقوله:[5]

[1] -لمصدر نفسه: ص:45.
[2] -التبيان في شرح الديوان، العكبري، ج:2، ص:21.
[3] - التبيان في شرح الديوان، العكبري، ج:2، ص287.
[4] -المصدر نفسه، ج3، ص279.
[5] -المصدر نفسه: ج2، ص149.

ولا تحسَبَن المَجْد زقًا وقْينةَ فَمَا المجْد إلى السَيْف والفتكَة البكْر

وقوله:[1]

وما كُنْتُ ممَن أَدرَكَ المُلْكَ بالمُنى ولكن بأيَام أشْبَن النوَاصبَا

فالقارئ عند تأمله في معاني الأبيات يلاحظ أنها تتمحور حول فكرة واحدة هي أن السيادة والمجد والعظمة والرفعة لا تكون إلا من نصيب من يقدر على فعالية الصعاب وتحدي المخاطر والمهالك وفي كل مرة كان الشاعر يرجع إلى لغة عقله لإثبات صحة ما يدعيه وفي بعض الأحيان يلجأ الشاعر إلى التحليل والغوص في حقيقة طبع الإنسان وسر طبعه وأخلاقه في هذا المعنى يقول:[2]

وكل يرى طرق الشجاعة والندى ولكن طبع النفس للنفس قائد.

ومفاد هذا البين أن كل يعرف طرق الشجاعة والكرم[3] فهما قيمتان أخلاقيتان معروفتان ولكن لا يتصف بهما إلا من كان مطبوعا مجبولا عليهما والشاعر هنا متأثر بالحكمة اليونانية إلى العادة طبيعية ثانية أو بقول الرسول صلى الله عليه وسلم "أحملوا ب الطلب الرزق فإن كان سير كما خلق له" رواه البخاري

إن الحياة في نظر المتنبي لا قيمة لها إذا لم يكن الإنسان فيها طموح يسعى إلى تحقيقه فالطموح سبب وجود الإنسان ولهذا استحق أقدس التضحيات وأكبر المغامرات فهو يقول:[4]

إذا غامرت في شرف مروم فلا تقنع بما دون النجوم

فطعم الموت في أمر صغير كطعم الموت في أمر عظيم

[1] -المصدر نفسه، ج4، ص119. ص:3.
[2] -شرح ديوان المتنبي البرقوقي، ج1، ص:358.
[3] -شرح الديوان المتنبي، البرقوقي، ج4،ص:245..
[4] -التبيان في شرح الديوان,العكبري, ج4، ص:93.

ففي هذين البيتين يعبر المتنبي عن مدى تقريره لطموح الإنسان فكل مخاطرة أو مغامرة هيئة طالما أن المراد يحقق رفعة وسموا لم يستشير عقله قبل أن يردف قائلا مادام طعم الموت بالأمر الهين هو نفسه بالأمر عظيم.

وفي بعض الأحيان تظهر على الشاعر مشاعر الحزن والتشاؤم من جراء ضغن إمكانيات الحياة وظروفها التي لم ترتفع إلى مستوى طموحه، فيعيش حالة من الذل والمهانة فيصبح الموت أخف وطأة من الحياة وهذا ما يعبر عنه بقوله:[1]

ذُلُ مَن يغْبطُ الذَليْلَ يعيْشُ رُبَ عَيْش أخَفُ منهُ الحِمَام

وفي قوله أيضا:[2]

وعنْدَهَا لَذُ طَعْم المَوت شَاربُهُ إن المنتَبهَ عندَ الذُل قنْديْدُ.

كما يتناول المتنبي في حكمه مسألة الموت والحياة التي شغلت المفكرين والفلاسفة منذ القدم وبقراءة حكم المتنبي التي تتمحور حول هذه المسألة نجد الشاعر ينتظر إليها بمنظار لا يختلف كثيرا عن منظار الفلاسفة وذلك من حيث إثارة طرح القضية من خلال طرح التساؤلات وآرائه حول الموت والحياة والوجود الفناء كقوله:

أَني لا علْمَ واللَبيْبَ خَبيْر أن الَحيَاة وأنْ حَرصْتَ غُرُور

رأيْتُ كلاماً يَعْمَلُ نفْسَهُ بتعلَة إلى الفَنَاء يَصيْرُ

-فالمتنبي- في هذين البيتين يعمد إلى تأكيد ما أقره الشعراء قبله حول المصير المحتوم للإنسان، فالحياة لا تدوم لأحد ،وإن طال العمر وامتدت سلامة المرء وهذه الحقيقة يؤكدها في القصيدة التي يرثي فيها عمة عضد الدولة يقول:[3]

لابَدَ للإنْسَان من ضَجْعه لا تَقلُبُ المضْجعَ عَن جَنبه

[1] -المصدر نفسه،ج1, ص:65.
[2] -المصدر نفسه، ج1، ص:65.
[3] -التبيان في شرح الديوان ,العكبري ج1، ص:211-213.

يِنْسَى بها ما كاَنَ من عَجَبه وما أَذاَقَ المَوت من كَربَه

نَحْنُ بنُو الموَتى فمَا بَالنُا نعَافُ ما لابُدَ من شُرْبه

تبخَلْ أيْدناَ بأروَاحنا على زَمَان هي من كَسْبه

فَهَذه الأرْواحُ من جوه وهَذه الأجْسَامُ منْ تُرْبه

هذه الأبيات تترجم صدق وتأملات الشاعر في الحياة والموت فهو يرى أن الموت يعد المصير المحتوم كل إنسان لإمناص لأحد من هذا المصير، لأن الميت لا يشعر بالألم والشدة بعد مفارقته للحياة، وكأن الشاعر هنا يرى في لموت خير مؤدب فهو ينسي العجب وخير علاج حيث يذهب الألم.

من ميزة المتنبي الكبرى الحكمة، وقد كشفت الحكمة عنده عن حقيقة مفادها أنه يمجد القوة وبجعلها غاية ووسيلة، فاتخذها لأبرز المثل العليا وق انبثقت معاني الحكمة عنده بتعالي جمال الألفاظ وبالتالي فإن المفتاح السري الذي يفتح به القلوب[1] هو الحكمة التي سميت على غثات الأمثال وصارت زينة للأقوال[2]، وهذا واضح في شعره بقوله:[3]

ذُو العَقْل يَشْقَى في النَعيْم بعَقْله وَأَخُوا الجَهَالَة في الشَقاَوة يِنْعَم

قوله أيضا:[4]

تصْفُوا للحَيَاة الَجاهل أو غَافلُ كَمَا مَضَى فيها ولا يتوَقَع.

فالمتنبي شاعر حكيم واسع لا يمكن تصنيفه في موضوع واحد من موضوعات الشعر العربي كالمديح والهجاء والوصف، والفخر والرثاء وغيرها، وإنما هو شاعر الإنسان في أفراحه وأفراحه وفي الخطاطة وغلائه، فهو شاعر النفس

[1] -حكمة المتنبي، ماجد جعفر، مجلة الأقلام، عدد 4، ص:67.
[2] - المرجع نفسه، ص:68.
[3] -ثقافة المتنبي وأثرها في شعره، هدى الأرناووطي، دار الحرية للنشر والطباعة، بغداد، دط، دت، ص:137.
[4] -المرجع نفسه، ص:137.

والوجدان وشاعر العامة والخاصة فالمتعلم والأمي يرددان أن أقوال المتنبي الحكمية وأمثاله مثل :"وتجري الرياح بما لا تشتهي السفن"

وتعتمد حكم المتنبي على شخصيته، ومن أبرز صفاتها القوة والكبرياء والطموح وثقافته الشاملة وتأملاته العميقة وتجاربه الوافرة والكثرة مخالطته للبشر بمختلف طبقاتهم، وأخذه من التراث العربي والعلوم الدخيلة.

فقد كانت معظم حكمة صادرة عن تجاربه وبعضها الآخر يلتقي فيها مع آرسطوا كقول المتنبي:

ومَن يُنفقُ الساعَات في جَمع مالَه مَخافَة فَقر، فالذيْ فعَل الفقر

يقول آرسطوا: من أفنى مدته في جمع المال فوق العدم فقد أسلم نفسه للعدم

يقول آرسطوا: الظلم من طبع النفوس، وإنما يصدها عن ذلك إحدى علتين: علة دنية عله سياسية لخوف الإنتقام.

يقول المتنبي: وإذا ما خَلا الجَبَانُ بأَرض طَلَبَ الطَعْنَ شَجَاعَة[1]

وتتصل حكم المتنبي "المتنبي بالإنسان" والذات البشري والحياة من الولادة إلى الموت وقد تنطلق إلى ما ورد الطبيعة والحياة ومن أبرز موضوعاتها الشجاعة والجبن، القوة والضعف، والصداقة والعداوة، علو الهمة وخمولها والطموح والآباد، العنف والعدل العقل والجهل، اللذة والكرامة، المجد والذل، النبل والشهامة.[2]

كما تمتاز هذه الحكم بأنها وثيقة إنسانية وفنية تعبيرا صادقا للواقع والتاريخ.

وتتميز حكم المتنبي على اختلافها بالوحدة العضوية أوشيه الوحدة العضوية، فهي تعبر عن موقف حياتي معين فالحياة جد ومجد لا لهو عبث والموت طيب في سبيل العز والعقل والقوة والشجاعة والمال والطموح سبيل إلى المجد.

[1] -تاريخ وعصور الأدب الجاهلي، أحمد فاضل: دار الفكر اللبناني في بيروت، لبنان، ط1، 2003م، ص:284.
[2] -المرجع نفسه، صفحة نفسها.

ويقول المتنبي :[1]

فلا مجْدَ في الدُنيَا لمنْ قلَ مالَهُ ولا مَالُ في الدُنيْا لمَن قَلَ مجدُهُ

ويقول أيضا:

ولا تَحْسَبَن المَجْدَ رقًا وقيْنَه َفمَا المجْدُ إلا السَيْفُ والفَتكَة البَكر

وتضْريبُ أعنَاق المُلُوك وأَنْ ترى لكَ البهَوات السُود والعَسْكر المجر

وتركلكَ في الدُنيا دَويا كأنَّها تدَاوَلَ سمعَ المريء أثملة العَثر

وأيضا:

الرَأيُ قَبلَ شَجَاعَة الشُجْعَان هُوَ أَوَلُ وَهي المَحَلُ الثانَي

أو:

إذَا غَامَرتَ في شَرف مَرُوم فلا تقْنَع بما دُونَ النُجُوم

فَطَعْمُ الموْت في أَمْر حَقيرٍ كطَعْم المَوت في أَمْر عَظيْم

ومعظم حكم المتنبي هي ذات تاريخية مرتبطة بأطوار حياته الواقعية وكذلك في إحدى قصائده لمدح بها سيف الدولة وقد جاءت الحكم بها متفرقة يقول:[2]

أ-مَنْ صَحبَ الدُنيَا طَويلًا تقَلبَت ْ على عيَنه حتَى يرَى صدْقها كَذبا

ب-ومَن تكُن الأسَدُ الضَواري يكُن ليلَة صْبحًا، ومعْظمُه عَصَبا

ج-ولسْتُ أُبالَي بعْدَ إدرَاكي العُلا أكاَن ترُاثًا ما تَناولْتُ أمْ كَسْبَا.

د-أرَى كُلنَا يَبغي الحَيَاة َبسَعيه حَريصًا عليْها مُسْتهَاناً بها صَبا

[1] -تاريخ وعصور الأدب الجاهلي، أحمد فاضل,ص:385.

[2] -المتنبي وشوقي دراسة ونقد وموازنة، عباس حسين: ط1، 1380هـ1951م، ص:391.

ه-فَحُبُ الَجبان النَفْسَ أوْرَدهُ التَقي وحُب الشُجاَع النفْسي أوْردَه الحَرْبُ

ي-يْختَلفُ الرَزقَان والفعْل واحدٌ إلى أنْ يَرى إحْسَان هَذا لذَا ذَنبَا

وقوله كذلك في قصيدة يمدح فيها الحسن بن طفج يقول:[1]

من الحُلُم أَّن تَستَعْملَ الجَهْلَ دُونَهُ إذا اتَسعَتْ في الحُلُم طَرفَ المظَالم

وأنْ تَرُدَ الماَء الذي تَنظُرهُ دَم فتُسْقَى إذَا لم يسُق مَنْ لم يزاَحم

ومَنْ عرَفَ الأيَامَ معرفني بها وبالنَاس رَوى رُمْحه عَبرض رَاجم

وقوله كذلك:

وماريح الرياض لها ولكن كساها دفناهم الترب طيبا

إنما يوحي بمشاركة الريح في الشعور بطيب هؤلاء الأموات وحقا أن هدا الضرب اللطيف من التخيل إنما يعبر عن قوة الخيال الشعري على نحو كان ينبغي أن يثير اهتمام النقاد فيصرفهم عما أعزم به من مسائل النقد الشكلي وكذلك قوله:[2]

إذا ما غَمَرتُ في شَرف مَروُم فلا تَقنْع بما دُون النُجُوم
فَطَعْم الَمْوت في أَمْر حَقير كَطَعْم المَوْت في أْمر عَظيْم
يَرى الجُبَنَاء أنَّ العَجْزَ عَقل وتلْكَ خَديجَة الطَبع اللئَيم
وكل شَجَاعَة في المَرْء تغَني ولا مثلَ الشَجَاعَة في الحَكيْم
وكَمْ من غَائب قَولًا صَحْيحاً وآفته من الفَهْم السَقيْم
ولكْن تَأخْذُ الآذَانُ منهُ على قَدْر القَرائح والعُلُومُ

فالمتنبي يظهر لنا كل مظاهر الاعتزاز بالنفس وكذا التميز بين عقل العاجز والعقل الفطن الطموح فهي تمثل الحكمة المليئة بالتجارب، الفطنة المقرونة بالطموح والآمال السامية.

[1] - الرجع نفسه، ص:393.
[2] - دراسات في الشعر العربي، عبد الرحمن شكري، جمعها حققها: محمد رجب البيومي، الدار المصرية اللبنانية، ص:68.

ويقول أيضا رحلته مع التجارب النفسية التي مرت عليه حيث يقول فيها:[1]

فلا تنلك اللَيَالي إنَّ أيْدهما إذا ضَربَنَ كَسْنَ النَبْع بالعَزب
ولا يَعْن عَدُواً أنْتَ قاهرةُ فإنَّهُنَ يصْدْنَ الصَقْر بالحَرْب
وإنْ سررت لمحبوب فجعن وقد أتينك في الحالين بالعجب
وربما احْتسَبَ الإنسَانُ غَايُتها وفاجَأتهُ بأمْر غَيرَ محُتَسَب .
وما قضَى أَحَد منْها لبانَته ولا أنتَهي أرْبُ إلَا إلى أرب

ويظهر الشاعر في البيت الأخير سر تعلقه بالحياة بتجاربها وآلامها سعيا لطلب الفور والسعادة.

كما نجده يورد الحكمة أيضا في قصيدته (بغيرك راعيا عبثت الذئاب) فيمدح ويستعطف ويورد الحكمة فيها يقول:[2]

وجَرمٌ جَرهُ سُفَهاَء قَوم وحَلَ بغيْر حَارمه العقاَب
وكَمْ ذَنْبُ مَولدُه دَلاَل وكَم ْبَعْد مَوْلدُه اقتْراب

ويقول أيضا: [3]

الموْتُ يموُتُ راَعي الضَأن في جَهْله ميتةَ جالَيْشُوس في طَبه
ورُبما زاَدَ على عُمْره وزاَدَ في الأَمْن على سَربه

وهي أبيات من إحدى قصائده في الرثاء والتعزية وقد قالها في رثاء عمة عضد الدولة.

[1] - المرجع نفسه، ص:70.
[2] -دراسات في الشعر العربي ,عبد الرحمان شكري ، ص:73.
[3] -المرجع نفسه، ص:74.

01- تأثره بالفلسفة:

إن ما يميز الحياة الفكرية في القرن الرابع هجري هي تلك الحركة العلمية والفكرية النشطة التي سادت هذا العصر وقت نشأة الشاعر أبي الطيب المتنبي، وكلن لهذا الحركة العلمية وبمجالها الفكرية والأدبي تمتد صورها إلى بداية الخلافة العباسية، حيث كان إسهام الخلفاء الأوائل بصيب كبير في بعث الحياة الفكرية والأدبية ونشطها فكان لهم أن شجعوا حركة البحث العلمي بوسائل عديدة، فعمل أبو جعفر المنصور وغيره ممكن جاء بعده كل نقل الأعمال الأدبية التي تركها الإغريق والرومان والفرس والهنود والريان والأقباط وغيرهم إلى اللغة العربية، والمجيء هارون الرشيد حتى نشطت حركة الترجمة والنقل، فترجمت كتب اليونان، وفي عهد المأمون ازدهرت الحركة العلمية بسبب دعمه ورعايته للعلم والعلماء ففتح لهم خزائن الأموال وأغدق عليهم منها فتوافد كلية وفد كثير من المترجمين الذين توافدوا على دار الحكمة في بغداد، كما تم نقل علوم أخرى في الطب والفلسفة والمنطق والأخلاق والسياسة والفلك والرياضيات والتشريح وغيرها من العلوم التي لم يكن للعرب بها عهد[1].

وقد كان لهذه الحركة العلمية نزعتها الفلسفية والمنطقية في الفكر العربي في عصر المتنبي، فقد برز عدة مترجمين من بينهم أو بشير متى ابن يونس أو كانت له مدرسة بغداد في عهد الخليفة الراضي سنة 320ه كما ترجم كتب آرسطوا كما له العدد من التلامذة الذين درسوا عنده منهم الفارابي الذي كتبه المنطق والأخلاق.

ولم يكن نقل هذه الفلسفات والمؤلفات في عصر هارون الرشيد والمأمون فحسب بل استمرت حركة الترجمة التي حمل لواءها جنين بن إسحاق دون انقطاع إلى النصف الثاني من القرن الرابع الهجري [2] وقد ترجم عدة كتب في الطب والفلسفة مثل اختصار كتاب إقليدس، استقالة في الوحيد كتاب مقولات...

وقد ذكر القفطي العديد من المصفقات اليونانية في الفلسفة والمنطق والحكمة المنقولة إلى العربية عن طريق السريانية مشيرا إلى النقلة والمترجمين والشراح لهده الآثار 1ودخلت الفلسفة اليونانية إلى دوائر المتكلمين بصفة خاصة ثم بيئة

[1] -العصر العباسي الثاني، شوقي ضيف، دار المعارف، ط2، القاهرة، 1975، ص: 15.
[2] -الترجمة الشخصية، شوقي ضيف، فنون الأدب العربي، الفن القصص 3، دار المعارف، 1970، ص:12.

الفلاسفة كما لقيت مباحث الأخلاق قبولا وذيوعا عند المسلمين وأصحاب المذاهب والآراء الذين فسحوا للفلسفة مجال التأثير مذهبهم الكلامية مثل معمر بن عباد السلمي وهو من أصحاب مذهب المعاني وأبي هاشم الجنائي الذي تناول بالتحليل صفات الله ،إنفراد فيها بالمذهب خاص تميزيه عن المعتزلة[1].

كما شهد العصر أيضا ظهور الشاعرة المعارضين لمذهب الاعتزال والمنكرين وكل فعل للطبيعة وكذلك إخوان الصفا الذين حاولوا المزج بين الفلسفة وتعاليم الذين[2]، وقد آثار إحسان عباس إلى تحويل الحكم والأمثال اليونانية من النثر العربي إلى الشعر العربي ثم في ثلاث تيارات حيث يتمثل التيار الأول في النقل المباشر كنقل أبان اللاحقي كتاب كليلة ودمنة إلى الشعر والتيار الثاني رأى في الحكم والأمثال تركة شعبية خالصة أهميتها في ذاتها وليست في مصدرها، ولكل إنسان الحق في الأخذ منها والتصدق فيها أما التيار الثالث يتمثل في التضمين والاقتباس للحكم الأجنبية عن طريق الإفادة من الثقافة الأجنبية عن طريق الإفادة من الثقافة الأجنبية كما عمل أبو العتاهية في أرجوزته ذات الأمثال[3] لهذا لا يستطيع أحد أن يجزم بحكم قاطع على الحكم المنقولة إلى الشعر ولا يكن أن يطمئن المرء إلى القول أن هذه الحكمة أو تلك مأخوذة عن أصل يوناني أو غيره، فقد تنسب الحكمة الواحدة مرة إلى الفرس ومرة إلى اليونان وتارة أخرى إلى الهند ثم نجدها أيضا ذات أصول راسخة في البيئة العربية منذ عهود قديمة.[4] فقد كان للحكمة في المجتمع الغربي والمجتمعات الأخرى مكانة كبيرة فقد بقيت مرتبطة بالعلم.

وقد أثرت الفلسفة اليونانية على أذهان الفلاسفة واهتمامهم بالترجمة والتأليف يقول ابن خلدون" ومنذ أيام الفارابي أحصيت كتب أرسطو، الكتب المنسوبة إليه ورتبت على صورة لم تتغير في جملتها وصارت تفسر وتشرح على طريقة الفارابي وأولها الكتب الثمانية في المنطق.

وهي كتاب المقولات (قاطيغورياس) وكتاب العبارة (باري أرميناس) وكتاب القياس (أن الوطيقاالأولى) وكتاب البرهان (أنالوطيقا الثانية) وكتاب المواضيع

[1] -ينظر: ضحى الإسلام، أحمد أمين، ج3، دار الكتاب العربي، بيروت، د ت، ص:08.
[2] -المرجع نفسه، ص:23.
[3] -ينظر: ملامح يونانية في الأدب العربي، إحسان عباس, المؤسسة العربية للدراسات للنشر، بيروت، 1977، ص:6.
[4] -المرجع نفسه، ص:139.

الجدلية (طوبيقا) وكتب الأقوال المغلطة (سوفسطيقا) وكتاب الخطابة (ريطوريقا أو كتاب الشعر (بويطيقا) أما ايسا غوجي فور فور يوس(الكليات) فهو مقدمة لهذا الكتب" [1]

وقد ورد عن الفارابي قوله:"قرأت السماع الطبيعي لأرسطو الحكيم أربعين مرة وأرى أني محتاج إلى معاودة قراءته"[2] بالإضافة للمؤلفات التي تدل دلالة واضحة على مدى تأثير أرسطو على عقلية الفيلسوف العربي فهناك مؤلفات عديدة منها" الجميع بين رأي الحكمين أفلاطون الإلهي وأرسطو طاليس وآراء أهل المدينة الفاضلة، وما ينبغي أن يقدم قبل تعلم فلسفة آرسطوا وكتاب عيون المسائل في المنطقة ومبادئ الفلسفة وكتاب البرهان وكتاب القياس الصغير وكتاب الجدل، وشرح كتاب المحيطي، كتاب شرح للبرهان كتاب شرح السماع الطبيعي كتاب في الفلسفة وسبب ظهورها، كتاب النواميس، كتاب الموسيقى كتاب مراتب العلوم"[3]

وقد قيل أن المتنبي قد التقى بالفارابي ببلاط سيف الدولة الحمداني وقد عاش الفيلسوف في رعاية سيف الدولة الذي أغدق عليه بالمالي الوفير وغمره بإعجابه وتبجيله وقد أشتهر الفارابي بما أتاحه له الأمير من تفرغ للعلم والتأليف وقد كثر تلاميذه وذاع صيته وانتشرت فلسفة وثقافته بين الناس وقد ظل الفارابي منها مسجلا في بلاط سيف الدولة لست سنوات حتى توفي في عام339ه.

إلا أنها أخذت تطلع إلى الفلسفة اليونانية بتحفظ، يقول الجاحظ عن خالد بن يزيد بن معاوية " كان خالد بن يزيد ين معاوية خطيبا شاعرا، كثير الأدب حكيما، وكان أول من أعطى التراجمة والفلاسفة، وقرب أهل الحكمة ورؤساء أهل كل صناعة"[4]

وقد كانت الرغبة الملحة في العلم والنظر العقلي الذي دعا إليه القرآن الكريم دافعا للبحث عن كل جديد ومفيد في العلم والفكر لترجمة اللغة العربية.

وقد كان دول الترجمة كبيرا خاصة في عهد أبي جعفر المنصور (ت 158ه) فقد نقل عبد الله بن المقفع بعض الأعمال الأدبية من الفارسية إلى العربية، فترجم كتاب كليلة ودمنة" الذي وضعه علماء الهند كنموذج كلام الحكماء أمام العرب

[1] -ينظر: مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمان ابن خلدون، دار الفكر للطباعة والنشر، لبنان، ط1، 1424هـ-2004م، ص:32.
[2] -الحكمة في شعر المتنبي، يسري سلامة، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنسر، الإسكندرية، ط1، 2009، ص:58.
[3] -المرجع نفسه، ص:59.
[4] -رسائل الجاحظ، الجاحظ، طبعة السندوبي، القاهرة، دط، د ت، ص:93.

فمن أراد حكمة وجدها على لسان البهم والطير، ومن أراد لهو وجده في صورة حكايات مسلية يقول ابن المقفع في كتابه كليلة ودمنة: وهذا كتاب كليلة ودمنة، وهو ما وضعه علماء الهند من الأمثال والأحاديث التي التمسوا بها أبلغ ما يجدون من القول في النحو الذي أرادوه، ولم يزل العقلاء من أهل كل زمان يلتمسون أن يعقل عنهم أو يحتالون لذلك بضيوف الحيل، ويطلبون إخراج ما عندهم من العلل، فدعاهم ذلك إلى أن وضعوا هذا الكتاب ولحضوا فيه بليغ الكلام ومتقنه على أفواه الطير والبهائم والسباع، فاجتمع لهم من ذلك أمران: أما هم فوجدوا متصرفا في القول وشعابا يأخذون منها وأما هو فجمع لهم حكمة فاجتباه الحكماء لحكمته والسفهاء للهوه..."[1]

وقد اثر هذا الكتاب تأثيرا كبيرا في الحكمة العربية وذلك لبراعة مترجمه الذي أحسن اختيار الموضوع الذي ينقله كائن في تقريبه إلى الخيال العربي افتتانهم به.

02- تأثره بالقياس و المنطق:

إن المتتبع للتطور الكبير الذي عرفة شعر المتنبي أثناء اتصاله بالفرابي في بلاط سيف الدولة يجعلنا نلاحظ أهم المميزات و الخصائص التي طرأت على شعره في تلك الفترة و التي تميزت بالتفكير المنظم الدقيق، و توليد المعنى بذكاء وحدة التعبير، و التدليل على قضاياه دون افتعال أو تعمل، و قد أشار إلى ذلك الدكتور شوقي ضيف الى هذه الفكرة " [2]و كان المتنبي يعني في شعره بأقيسة المنطق، و أكثر من هذه الأقيسة في ديوانه كثرة مفرطة، و عي تعطي شعره ضربا من الحدة في التعبير و الأحكام في التفكير" فقد أولى المتنبي في شعره و سلط اهتمامه الكبير للقياس المنطقي خاصة أثناء فترة وجوده في رحاب سيف الدولة، و كذلك اتصاله بالثقافة اليونانية و مجالسته للفرابي و استماعه لمحاضراته في المنطق الأرسطي الذي كاد أن يصبح دستور التفكير عند علماء الكلام و الفلاسفة الإسلاميين في القرنين (3) و (4) هـ.

فالعناية بالمنطق و الاحتفاظ بالفكر المنظم و الفكرة المولدة من الفكرة ظاهرة واضحة في الشعر الذي قاله المتنبي فلا نكاد نجد قصيدة تخلو من القياس المنطقي بسبب الحالة النفسية التي كان يعيشها المتنبي طوال فترة مكوثه عند سيف الدولة

[1] -كليلة ودمنة، عبد الله بن المقفع، دار المعارف، القاهرة، ص:3

[2]- الفن و مذاهبه في الشعر العربي، شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة 1960، ط2، ص 346.

من الاستقرار و الطمأنينة بحيث وجد لنفسه ملاذا لأفكاره و آماله، فانطلق يدرس مع الفرابي فلسفة اليونان و منطق أرسطو، فانعكس هذا الدرس على شعره الذي طبع بطابع التفكير الهادئ، فهو يتمعن في ظواهر الأيام و يضرب بها الأمثال رابطا بينها و بين حالته النفسية برباط متين قوامه المنطق.

يقول الفرابي في منفعة المنطق:" صناعة المنطق تعطي بالجملة القوانين التي شأنها أن تقوم العقل، و تسدد الإنسان نحو طريق الصواب و نحو الحق في كل ما يمكن أن يغلط فيه من المعقولات، و القوانين التي تحفظه و تحوطه من الخطأ و الزلل و الغلط في المعقولات و القوانين التي يمتحن بها في المعقولات ما ليس يؤمن أن يكون قد غلط فيه غالط و ذلك أن في المعقولات أشياء لا يمكن أن يكون قد غلط فيها أصلا...ففي هذه دون تلك يضطر الإنسان الذي يلتمس الوقوف على الحق اليقين في مطلوباته كلها قوانين المنطق" [1].

يقول المتنبي في قصيدته و هو يعزي سيف الدولة لوفاة عبده يماك التركي الذي مات بحلب سنة 134 ه يقول:[2]

و أني إن كَان الدَفين حبتَيبُه حَبيْبُ إلى قلْبي حَبيْبُ حَبيْبي

و قَد ْفارَقَ نَاسُ الأحَبة قبْلنا و أعْيا دوَاء الموْت كل َطبَيْب

سَبقْنَا إلى الُدنْيا فلَو عاَشَ أهْلهَا منَعْنا بها منْ جيْئَة و ذَهُوب

تملكُها الَأتي فَمتالكَ سَالبٌ و فاَرقَها الماضي فرُاقَ سَليب

و لا فَضْلَ فيها الشَجَاعَة و النَدى و صَبرَ الَفتَى لوْلاَ لقاَء شُعُوب

فالمتنبي في هذه الأبيات يناقش قضية مهمة و هي مشكلة الموت التي اعتبرها هدية الحخياة الكبرى على حد قوله، و أنه استمرار لها و ضمان لبقاءها، فيتطرق من العام إلى الخاص و من الخاص إلى العام، و يسنده في ذلك القياس المنطقي الذي جعل من يماك حبيب المتنبي لأنه حبيب سيف الدولة، فالموت قدر مكتوب و

[1]- الحكمة في شعر المتنبي، يسرى سلامة، ص78.
[2]- الحكمة في شعر المتنبي ,يسري سلامة،ص:78.

لا حيلة للإنسان فيه لأنه ضرورة حتمية لا بد منها لتستمر الحياة، فلو كان الناس مخلدين لضاقت الأرض بمن فيها.

ثم يعود المتنبي و يدعو سيف الدولة إلى الصبر و الخلود إلى السكينة و الرضى بقضاء الله و قد جره، و كما ذهب أباءنا و أجدادنا و طواهم التراب و نحزن عليهم و لم نبك عليهم لأننا لم نرهم، و قياسا عليه، و لماذا لا يكون يماك مثلهم، لأنه المنطق القوي الذي بيننا ألام فراق المصاب:[1]

و للوَاجد المكْرُوب من زَخَراَته سُكُون جَزاء أو سُكون لَعُوب

و كَمْ لك جَد لم تر العَينَ وَجْهَهُ فلمْ تجري أثَارُه بغُروب

و هنا الحكمة جاءت متسلسلة منطقية جراء الأحداث التي ساغها الشاعر و كأنها شريط أفكار مترابط في سياق الصورة العامة.

و يقول أيضا في حب سيف الدولة له، و هو يعلل لهذا الحب تعليلا منطقيا مبنيا على العقل يقول:

أحبُكَ ياشمْسَ الزَمانَ و بدْرُه و إنْ لامَني فيكَ السُهَا و الفُراق

و ذَاكَ لأنَّ الفَضْل عنْدَك باهرُ وليْسَ لأنَّ الَعيْشَ عندَك بَارُد

فإنَّ قليْلَ الَحُب بالعَقْل صَالحُ و أنَّ كَثيُر الحُب بالجَهْل فاسدُ

و قد علق العكبري[2] على المتنبي أنه لو قال (بالعلم صالح) لكان أصح و أحسن في ضيافة الشعر، لأن الجهل ضد العلم و العقل ضد الحمق ، غير أن الحمق و العلم صنوان و هما يعنيان المنطق و الفكر السليم.

و قد استطاع المتنبي أن يحظى باهتمام و إعجاب سيف الدولة و تقديره باستعماله فن القياس المنطقي في مدائحه بشكل يثير الدهشة، و يقول:[3]

[1]- المرجع نفسه، ص79.
[2]- التبيان في شرح الديوان، أبو البقاء العكبري، ص 280.
[3]- الحكمة في شعر المتنبي، يسرى سلامة، ص 84.

رأيتُكَ في الذيْن أرَى مُلوكًا كأنَّه مُستَقيْم في محَال

فإن تفقُد الأنَام فأنْتَ منهُم فإنَّ المسْكَ بعْضَ دَم الغزَال

و قد تميزت معظم قصائد المتنبي بالأقيسة المنطقية التي تربط فكرته ربطا عقليا منظما و قد ظل محافظا على هذا اللون في القياس المنطقي في شعره بلون حزين نتيجة عدم قدرته على تحقيق ما كان يصبو إليه، و قد كان لإتصال المتنبي بين الدولة منفعة كبيرة خاصة الفلسفة و الأرسطية فقد قابل الفرابي في بلاط سيف الدولة في بحلب، و قد كان لهذه الزمالة و الصداقة جانبا إيجابيا في صقل فكر المتنبي و إدخال الكثير من أقيسة المنطق في شعره، و غلبت النزعة الفكرية و العقلية على القضايا التي يثيرها في شعره.

03- الثقافة الهندية:

و قد اتصل العرب في جاهليتهم بالهند و تاجروا معها، و أولعوا بسيوفها، و في أيام الوليد بن عبد الملك، ثم فتح السند (91ه) و في عهد الخليفة أبي جعفر المنصور امتد الفتح إلى كابل و كشمير، و قد نتج عن ه=ا الفتح:[1]

- اعتناق جماعات من الهنود الدين الإسلامي، و بالتالي انشراح روحانيين الهند بروحانية الإسلام.

- احتكاك العرب بالهند جعل العرب يحكمونهم و يعلمونهم إسلامهم و يطلعون على أديانهم، و قد عنى العرب بالهند جغرافيا و تاريخيا و علوما، و لكنهم ما تعمقوا و لا استقصوا، قال القفطي:" و لبعد الهند عن بلادنا، قلت تأليفهم عندنا، فلم يصل إلينا إلا طرف من علومهم، و لا سمعنا إلا بقليل من علمائهم، و قد إهتم العرب بحساب الهند و نجومهم و طبعهم.[2]

و قد تم تأثير الثقافة الهندية في الثقافة العربية الإسلامية عن طريق التجارة و الفتح الإسلامي و كذا يحمل في ثناياه شيئا من الثقافة الهندية.[3]

[1] - ينظر: ضحى الإسلام، أحمد أمين: ج1: دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، ص234.
[2] - أخبار العلماء بأخبار الحكماء، القفطي، ص 27.
[3] - ينظر: أصول الفسفة العربية، بوحنا قمير: منشورات المطبوعات الكاتوليكية، بيروت، دط، 1967، ص 48.49.

و إن ما تهمنا من التأثر الهندي في الثقافة العربية أنما هو موضوع الحكم، حيث أن العرب قد أخذوا الكثير من الحكم الهندية و الظاهر أن هذه الحكم كانت أكثر موافقة لمزاجهم العقلي من جهة، و من جهة و من جهة ثانية أنها أشبه بشيء بالأمثال العربية، إذ صبغت فيها المعاني الغزيرة بالمباني القليلة، فعلقت بقلوبهم و استمرت عقولهم، و لما كانت الحكم" نتيجة تجارب كثيرة" يعبر عنها – عادة- بجمل بليغة، فقد وجدت في العقول ميلا إليها قبل مظاهر الحياة الفعلية الأخرى.[1]

و إذا ما تفقدنا الشعر العربي في العصر العباسي، فإننا نجد في هذا الشعر شيئا من أثر حكم الهند أو فكرهم، و مما جاد في شعر أبي:

قُلْ لزُهَير إذَا حَدَا و شَدَا أقَلل أم أكْثَر فأنْتَ مهْذَار[2]

سَحَبْتُ من شدَّة البُرُودَة حنى صرْت عنْدي كأنَّكَ النَار

لا يعْجَبُ السَامعُون من صفَتي كذلك الثلَج باردٌ حَار

قال ابن قتيبة:" و هذا الشعر يدل على نظرة في علم الطبائع، لأن الهند تزعم أن الشيء إذا أفرط في البرد عاد حارا مؤذيا"[3] و إذا ما جئنا نفحص حكم المتنبي في شعره و حاولنا البحث عن الأثر فيها فإننا لن يخيب في العثور على هذا الأثر، فعلى سبيل المثال، تقول الحكمة الهندية:

" شر المال ما لا ينفع " أي ما عمل صاحبه على جمعه و إدخاره دون الإنتفاع به، فيعيش عيشه الفقراء المحرومين فينقلب ماله شر عليه.

و في هذا السياق يقول المتنبي:

و مَنْ يُنفقُ السَاعَات في جمع مَاله مخَافة فَقْر فالذي فعْل الَفقْر[4]

يعني هذا البيت أن الذي يمضي وقته في جمع المال دون إنفاقه و يرفعه إلى مصاف الميسورين المكتسبين فقد عاش عمره فقيرا محروما.

[1] - ينظر: ضحى الإسلام، أحمد أمين:ج1،ص ص233.234.
[2] - حديث الأربعاء، طه حسين، ج 2 ،ص 62.63.
[3] - عيون الأخبار، ابن قتيبة: أحمد محمود شاكر: ج 1.دار المعارف، القاهرة، ط2، 1966، ص 263.
[4] - شرح ديوان المتنبي، البرقوقي، ج2، ص 255.

انسجام المعنى بين الحكمة الهندية و حكمة المتنبي وارد و إذا تناولنا حكمة هندية أخرى جاءت في المصدر نفسه للحكمة السابقة و التي تقول و شر البلاد ما ليس فيه حضن و لا أمن.

نرى المتنبي يقول في مضمون هذه الحكمة الهندية:[1]

و كُلُ امْرئ يُولي الجَميْل محُببُ و كُلُ مَكَان ينْبُتُ العزُ طَيب

فالحكمة الهندية تجعل شر البلاد مقرونا بانعدام الخصب أي مصادر الرزق و العيش و الأمن فخيرها ما كان يتوافر على أسباب الرزق و الأمن.

و المتنبي في الشطر الثاني من البيت يذهب مثل هذا المذهب حيث يرى أن كل مكان يتوافر على أسباب العز يعني مصادر الرزق و الراحة و الهناء يطيب به المقام و هنا نلاحظ تقارب المعنى بين الحكمتين، و نتيجة لثقافته الواسعة، فقد كان ملما بالتيارات الفكرية التي دخلت الثقافة العربية منها المعرفة بكبراء الدهريين و ذلك حين يقول:[2]

و كَمْ لظَلَام اللَيْل عندَك من يَد تخبر أن المانَويَة تَكْذب

و المانوية مذهب منسوب إلى ماني 277م مؤسسه القائل بأن العالم نشأ من أصلين هما النور و الظلمة، و عن النور تشاكل الخير و عن الظلمة تشكل الشر.[3]

و المتنبي يعارض ماني في هذا البيت بقوله أن الظلام عندي نعمة لأنه قد يحجب الأذى عن الإنسان، فإصحاب المانوية كاذبون في زعمهم بأن الشر نشأ عن الظلمة.

و كذلك أشار المتنبي إلى مذهب القائلين بتناسخ الأرواح و هو مذهب نشأ في الهند حين قال:[4] تمتع من سُهُاد أو رقَاد

و لا تأْمَل كَدى تَحْتَ الرجَام

فإنَّ لثَالث الحاليْن معنَى سوى معنى انتبَاهكَ و المَنام

[1] - شرح ديوان المتنبي، البرقوقي ،ج1، القاهرة، 1348ه – 1930م،ص 308.
[2] - المصدر نفسه، ص 302.
[3]- أصول الفلسفة العربية، يوحنا قمير ، ص 56.
[4] - شرح ديوان المتنبي، البرقوقي، القاهرة، ج4، ص 20.

و مذهب القائلين بتناسخ الأرواح خاصة من خواص الهند و قد كان له أثر كبير في المسلمين و قد قال البيروني في هذا المذهب كما أن الشهادة بكلمة الإخلاص شعار إيمان المسلمين و التثليث علامة النصرانية و الأسباب علامة اليهود، و كذلك التناسخ علم النحلة الهندية فمن لم ينتحله لم بك منها و لم يعد من جملتها[1]

و قد عبر المتنبي في البيتين السابقين بتناسخ الأرواح حيث قال مادمت حي بالسهر و النوم لأنك إذا أتتك المنية فلا نوم في القبر – إشارة منه إلى انتقال الروح إلى بدن آخر و إن الموت غير مقرونة باليقضة.

و قد كان تأثير الثقافة الهندية محدودا في فكر المتنبي و شعره الأمر الذي يجعلنا نقول أن المعاني الحكم الهندية قد تسللت إلى بعض حكم شاعرنا الواردة في ثنايا شعره.

04- تأثره بالثقافة اللغوية:

إهتم معظم المؤرخون و المترجمون حول سيرة المتنبي و أخباره، حتى ثقافته اللغوية و الأدبية بحيث اعترفوا بسعة إطلاعه على اللغة العربية و آدابها دون أن يلتمسوا المصادر التي أخذ عنها المتنبي، و الحق أننا عندما نقرأ ابن الأنباري في نزهة الألباء في طبقات الأدباء و البديعي في الصبح المنبى، و الأصفهاني في إيضاح المشكل، و الثعالبي في يتيمة الدهر، و ابن تغري بردي في النجوم الزاهرة، و ابن العماد في شذرات الذهب، و ابن خلكان وفيات الأعيان و العثماني في التنصيص، و البغدادي في خزانة الأدب، و الخطيب في تاريخ بغداد، و العبكري في شرح ديوانه[2]، فإننا لا نرى أيا من تراجمهم تبين المنابع العربية التي إقتبس منها المتنبي و أخذ منها.

و المعروف أنه نشأ في الكوفة، " و هي يومئذ مقر الشيعة و مباءة الشاغبين على خلفاء بني العباس من أولاد علي و غيرهم من دعاة الدخل و طلاب المغانم و كان في تلك الأيام التي ولد فيها المتنبي لا تقر على قرار و لا تنقطع منها الفتن و لا سيما من شعبية القرامطة" [3].

[1] - أصول الفلسفة العربية، يوحنا قمير ص 62.
[2] - الحكمة في شعر المتنبي، يسرى سلامة، دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر، الإسكندرية، ط 1، 2009، ص 93.
[3] - مطالعات في الكتب و الحياة، عباس محمود العقاد: القاهرة ، 1343 هـ ، ص 119.

و نشأته في بيئة متشبعة بالخلافات المذهبية تبين لنا أولى مصادر ثقافته التي تأثرت الآراء الكثيرة النشطة و التي كانت نقمة من الناحية السياسة و نعمة من الناحية الثقافية و الفكرية لأنها تفتح أبواب الجدل و النقاش، بحيث يلجأ كل فريق إلى المنطق و الفكر لنشر و تأييد أفكاره و يعلي من شأنها على الدعوات الأخرى.

و قد نهل المتنبي العلم من الكتاتيب التي يختلف إليها أولاد الأشراف من العلويين و هذا ما يذكره البغدادي نقلا عن أبي القاسم الأصفهاني في إيضاح المشكل: " حدثني ابن النجار ببغداد: أن مولد المتنبي كان بالكوفة في محلة تعرف بكندة، بها ثلاثة آلاف بيت من بين رواد و نساج، و اختلف إلى كتاب فيه أشراف الكوفة فكان يتعلم دروس العلوية شعرا و لغة و إعرابا فنشأ في خير حاضرة".[1]

و الأمر الغالب أن مدارس العلويين تلك لم تكن مقصورة على تعليم الناشئة من الشيعة مبادئ القراءة و الكتابة، و أصول النحو و العروض فقط، و إنما كانت تبث في تعليمها مبادئها و تعاليمها الفكرية التي تريد أن ينشأ عليها أبناءها منذ صغرهم.

و يرى الثعالبي أم المتنبي جمع بين ثقافة الكوفة و الشام، فالمعروف عن المتنبي رحيله مع أبوه إلى البادية و الحضر في صغره لتلقينه اللغة الفصحى و قد تربى على أيديهم يقول: " هو و إن كان كوفي المولد إلا أنه شامي النشأة، و بها تخرج و منها خرج نادرة الفلك و واسطة عقد الدهر في صناعة الشعر ".[2]

و من بين أشعاره التي يتغنى فيها بحب هذه البيئة يقول في شعره المتأخر في مدح كافور:[3]

منَ الجآذر في زي الأعَاريْب حمْر الحُلي و المَطَايا و الجلَاليْب

إنْ كُنْتَ تَسْألُ شَكًا في معَارفهَا فَمن بلَاك بتَسْهيد و تَعْذيْب

كَم زُورَة لكَ في الأعْراب خَافيَة أدْهَى- و قَد رَقدُوا- زوْرة الذيْب

أزُورُهُم و سوَاد اللَيل يشْفَع لي و أنْثَنى و بيَاضُ الصُبْح يغْري بي

[1] - الحكمة في شعر المتنبي، يسرى سلامة، ص 94.
[2] - المرجع نفسه، ص 95.
[3] - الحكمة في شعر المتنبي، يسري سلامة، ص 95.

و المدة التي مكثها أبو الطيب في البادية غير معروفة ،فقد روى الخطيب عن محمد بن يحي العلوي قوله عن أبي الطيب :وصحب الأعراب في البادية فجاءنا بدويا قحا[1].

فقد خرج إلى البادية وعمره تسع سنوات مع أهله هربا من غارة القرامطة الاولى على الكوفة ،والغارة الثانية لذلك على الكوفة سنة خمس عشر وثلاثمائة ،وقد هزموا الخلافة وآسرو قائده يوسف بن أبي الساج ،وقد أثرت هذه الواقعة كثيرا في نفس أبي الطيب وقد حدثها إلى الحسن بن عبيد الله طغج في الرحلة سنة ست وثلاثين وثلاثمائة وقد بالغ في وصف الأحداث وما كان بها من قتل ودماء إلى درجة استنكار الحاضرين هذا الوصف يقول المتنبي :[2]

أباَعثُ كُل مَكْرَمة طُمُوحُ وفَارسُ كُل سَلحَبة سَتبُوح
وطَاعنُ كُل مَجْلاَء غَمُوس وعَصى كُلَ عذَال نَصيْح
سَقَاني اللهُ قَبْلَ الموْت وما دمُ الاعْداَء من جوَف الُجروُح

وقد استفاد المتنبي كثيرا من البادية بخصالها المعروفة بالنجدة والوفاء والشجاعة والبطولة والفتوة والاعتزاز بالنفس وبمظاهرها وسمع من الأعراب في طفولته الأولى قصص البطولة العربية فعشق هذا المعنى وظل يتغنى به في صغره ورجولته على حد سواء ،وعند عودته من رحلته في الصحراء انكب على دكاكين الوراقين يقرأ بينهم وهذا ما يدلنا عليه ما رواه أبو القاسم الأصفهاني في إيضاح المشكل.[3]

وأكثر ملازمة الوراقين فكان علمه من دفاترهم ،فأخبرني وراق كان يجلس يوما قال لي :ما رأيت أحفظ من هذا الفتى ابن عبدان فقط ،فقلت له كيف ؟فقال :كان اليوم عندي وقد أحضر رجل كتابا من كتب الأصمعي يكون نحو ثلاثين ورقة لبيعه .قال :فأخذ ينظر فيه طويلا فقال له الرجل:يا هذا أريد بيعه وقد قطعني عن ذلك فإن كنت تريد حفظه في هذه المدة فبعيد فقال له إن كنت حفظته فمالي عليك قال :أهب لك الكتاب قال :فأخذت الدفتر من يده فأقبل يتلوه إلى أخره ثم أستله فجعله في كمه فقام فعلق به صاحبه وطالب بالثمن .فقال :ما إلى ذلك سبيل قد

[1] - المرجع نفسه، ص:97.
[2] -المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
[3] -الحكمة في شعر المتنبي، يسري سلامة، ص:98.

وهبته لي قال فمنعناه منه ،وقلنا له :أنت شرطت على نفسك هذا الغلام فتركه عليه".

فهذه الرواية وإن دلت على شئ فإنما تدل على المكانة الكبيرة التي كان عليها المتنبي في صغره من قوة على الحفظ ،ومثابرة الدروس،وحدة الذكاء و إختلاف أماكن الثقافة التي كان ينهل منها من كتب في اللغة والأدب .

فثقافته الواسعة جعلت منه شخصية مكتملة منذ صغره قويا واثقا ذا خيال خصب وقدرة على تطويع الوزن والقافية من البلاغة وفنونها.

وقد روي عن المتنبي أنه قال قصيدة يمدح فيها أبا الفضل الكوفي في صباه ويقال أنّ أبا الفضل هو الذي لقنه مبادئ الشيعة [1].

كَفَى أراَني ويكَ لَومكَ ألوُماَ هُمْ أقاَمَ َعلى فُؤاَد أجمَا

يقول أيضا :

غَضَ على تقوَى فلُاة نَابتْ شَمسَ النهَار تقُل ليْلا مُظلْمًا

كَصفَات أوحَدَنا أبُو الفَضْل بهَرتْ فأَنْطَقَ واصفيَه وأفْحَماَ .

ويروي الرواة على أنّا لمتنبي كان يحرص في معظم رحلاته على اصطحاب ديوان أبي تمام والبحتري .ولكن اختيار أبو الطيب لأبي تمام وهو الشاعر الحكيم الذي جعله إبن الأثير في كتابه المثل السائر أحد الثلاثة الذين"حوت أشعارهم غرابة المحدثين إلى فصاحة القدماء،وجمعت بين الأمثال السائرة وحكمة الحكماء"[2]

هؤلاء الثلاثة رأى فيهم ابن أثير أنّ شعرهم قد جمع كل فضائل الشعر خلال سبعة قرون وهم:أبو تمام البحتري والمتنبي.

و المعروف عن المتنبي و أبو تمام أنّ كلاهما بغوص وراء المعاني في الأعماق كما يتميزان بحدة الذكاء وقوة الشخصية .وكلاهما انطلق في آفاق العالم الإسلامي

[1] المرجع نفسه، ص99.
[2] -المثل السائر ,ابن الأثير ,نشر:محمد محي الدين عبد الحميد ,طبعة بولاق,القاهرة,1939,ص:470-472.

بحثا عن الرزق والمجد وكلاهما كان مقربا من الحكام والعظماء ،ولعل أبرز ما جذب أبا الطيب إلى أبي تمام هو احتفاء أبي تمام بالحكمة وضرب الأمثال ،ورسمه الصورة الكاملة لما ينبغي أن تكون عليه الشخصية العربية في مدائحه ،وتغنيه بالبطولة والقوة والربط بين المجد والشعر .وقد خلدت نظرات أبي تمام الحكمية على مر الزمان والدهور وقد حظيت بنفس الشهرة في أيام المتنبي .

فأبو تمام أول شاعر إسلامي استطاع أن يفرض زعامته فرضا ،وأن يعترف له بها الشعراء جميعا ،دون أن يزاحمه فيها أحد مزاحمة جدية ."[1]

وقد اهتم أبو تمام بصناعة البديع فكان شيخها الأبرز وهذا يرتبط بغوصه وراء المعنى وبحثه في الأعماق ،حتى يتسنى له التعبير الدقيق الموجز المعبر وكان ينهك نفسه في الصياغة التي تعينه على توضيح حكمته وهذا ما عبر عنه الأستاذ محمد خلف الله أحمد بقوله:"هذه الحكمة الإتقانية أو صناعة البديع التي كان أبو تمام ورجال مدرسته من شعراء المعاني ،يعالجون الفكر والمواقف ونماذج الشخصيات الإنسانية ،وهم يتبعون المعاني حيثما قادتهم ويغو صون وراءها إلى الأعماق ،حتى إذا ظفروا بها عكفوا عليها تأملا وتدبيرا ،وشحذوا لها كل أدواتهم الفنية من تمثيل وتخيل وتشخيص..."[2]

ولهذا كان أبو الطيب من أشد المعجبين بأبي تمام واختار الحذو حذوه واهتم به وبشعره وبنماذجه البطولية العربية ،واتخاذه من المدح وسيلة لرسم المثل العليا والقيم السامية للإنسان العربي .

كما أعجب المتنبي كذلك ببساطة البحتري وصدق مشاعره وأحاسيسه في التعبير عن وجدانه وقد كان المتنبي ينحو هذا المنحى حين يتحدث عن أحزانه وخيبة آماله واغترابه ،يقول الدكتور طه حسين "ثم نعجب من البحتري لأنّه كان في أكثر شعره مطبوعا يرسل نفسه على سجيتها ،لا يتعمق ولا يتكلف ،وقد لا يروق شعره المتعمقين الذين يلتمسون اللذة الفنية بعد الجهد ....فإذا كان لا يعجبهم البحتري فقد كان يعجب غيرهم من جمهور الناس ،كانوا يلتمسون عنده اللذة المريحة ذلك أنه كان لا يصنع صنيع أبي تمام في الغوص وتكلف الاستعارات النادرة ،وإنما كان

[1] -من حديث الشعر والنثر,طه حسين ,دار المعارف,القاهرة,دت,ص:165-166.
[2] -ينظر:حكمة أبي تمام ,محمد خلف الله أحمد ,مهرجان الشعر الثاني ,مجلس الفنون, القاهرة ,ص:235.

يرسل نفسه على سجيتها إرسالا ،ويعبر عن عواطفه كما يعبر الناس جميعا حين يحبون أو يغضبون ،فليس غريبا أن كل إنسان من معاصريه مرآة لهذه العواطف التي يشعر بها في حياته".[1]

وفضلا عن إعجاب المتنبي بأبي تمام والبحتري فإنه قرأ معظم شعراء العربية من الجاهلية إلى شعراء عصره .فقد كان مكبا على القراءة والمطالعة ،ملازما كتب الوراقين ويفضي شطرا طويلا من الليل قارئا ومدونا ومعلقا ولم يكن ينطق في شعره عن هوى .وإنما عن دراسة متأنية متمهلة لتاريخ العرب وأيامهم وأمجادهم.

بالإضافة إلى ثقافته اللغوية وتمكنه من غريب اللغة وشواردها،وحذقه لفنونها ونحوها وصرفها منها قوله[2]

إذا كَانَ ماتَنويه فعْلاً مُضَارعاً مضَى قبْل أن تَلقَى عليه الجَوازما

أمْضَى إرادَتَه فسَوْفَ له قَد واستَقْرَبَ الأقصَى فمَ لَه هُنا

ومعناه "إذا نوى أمرا فكأنه يسابق نيته بوقوعه فيصير ماضيا،والمكان البعيد يصير عنده قريبا ،فما هو عند غيره مستقبل ماضي عنده،وما عند غيره قريب عنه ".

وكان المتنبي يستخدم اللغة إستخداما قاسيا حين يهجو أو يسخر من أحد كقوله:

وكَانَ إبنًا عَدُو كَاثراه لهُ يَاءي حُروُفُ أنيسَيان

أي أنّ عدوك الذي له ولدان و كاثر بهما كياء يين زائدتين في "أنيسيان "لأنه إذا كان مكبرا لخمسة أحرف ،فإذا صغر زيد فيه ياءان في عدده ،ونقص في معناه فخره فهما زائدتان في نقصه .[3]

[1] -من حديث الشعر والنثر ,طه حسين ,ص:199-200.
[2] -التبيان في شرح الديوان ,ديوان المتنبي,شرح العكبري,مطبعة الحلبي ,القاهرة,1956,ص:2004.
[3]- التبيان في شرح الديوان ,ديوان المتنبي ,العكبري,ص:4-261.

الفصل الثالث

النزعة الفنية في بناء القصيدة لدى المتنبي

1. الخيال.
2. الصور البلاغية.
3. الألفاظ و المعاني.
4. سرقات المعاني و إعادة تشكيلها.

النزعة

01- مفهوم الصورة: لقد ركزت أكثر التعريفات النقدية للصورة على وظيفتها و مجال عملها في الأدب و يبدو أن مفهوم الصورة الشعرية ليس من المفاهيم البسيطة سريعة التحديد و إنما هناك عدد من العوامل التي تدخل في تحديد طبيعتها كالتجربة و الشعور و الفكر و المجاز و الإدراك و التشابه و الدقة ...فهي من

القضايا النقدية الصعبة لأن دراستها لابد أن توقع الدارس في مزالق العناية بالشكل أو بدور الخيال أو بدور موسيقى الشعر كما هو في المدارس الأدبية[1]

و بناءا على ماسبق فالصورة المعتمد عليها بلاغيا و نقديا هي التي تنصهر في بوقتها المعاني الداعية و لألفاظ المدعوة ،والفرض الذي يدعو المعاني ،و الصورة هي الشكل أو القالب الذي يصب فيه الأديب أفكاره و معانيه و عواطفه ،غير أن هذا القالب يختلف بين شاعر و آخر ، و الصورة يحسن لها أن تتناسب مع المعاني و العواطف ،فليس اختيار الأديب لها اعتباطي بل يكون في كثير من الأحيان اختيارا شعوري [2] تمليه عليه جملة من العوامل المتداخلة.

-الصورة الشعرية :الخيال:والخيال نعني به القدرة على ابتكار الأشياء و تشخيصها (يرى شلوفسيكي أن الشاعر لايخلق الصور والخيالات و إنما يجدها أمامه و يلتقطها من اللغة العادية ، و لهذا فإن الخاصية المميزة للشاعر ليست و جود الأخيلة ، وإنما الطريقة التي تستخدم بها)[3] وعليه فإن الصورة ليست دائما من الفكرة ،بل و أراد أن يزيد المعنى و وضوحا فقال :إن الظلام و الضوء قد اجتمعا اجتماعا رهيبا و هو يقصد بالظلام الحضرة التي تكاثفت حول البحيرة ،و بضوء البحيرة المضيئة التي حاكت في لمعانها قمرا فضيا ، يبدد هذا الظلام .

و قوله أيضا:[4]

في الخَد أن عَزمَ الخَليط رَحيْلاَ مَطَر تَزيدُ به الْخدُوُد مَحوَلا*

فقد جاء الخيال مصنوع لبعده عن الصدق الفني و انفصاله عن الحس العاطفي و الإدراك الوجداني فهو يريد أن يعبر عن حزنه لفراق المحبوبة، فجعل دموعه مطرا ولم يكتف بهذه المبالغة بل مضى في تخيله الكاذب فسلب المطر حقه في الإخصاب و جعله مصدرا محال و جفاف للخدود التي ستتقرح بالدموع.

[1]- ينظر :الصورة الفنية في الأدب العربي ،فايز داية، دار الفكر المعاصر ،بيروت، لبنان ط2، 1996، ص:15
[2]- المرجع نفسه ،ص17
[3]- ينظر: تذوق النص الأدبي، سامي يوسف أبو زيد، دار النصرة للنشرة والتوزيع، عمان،ط1، 2012م - 1433هـ ،ص: 01 .
[4]- ديوان المتنبي ،ج3/ص:349.
*- الخليط:المراد به الحبيب.

قد تكون الصورة معقدة و مهمة الشاعر المحافظة على طزاجة الوجود و ذلك بعدم إتباع الروتين لأننا حين ننظر إلى المألوف لانتجه إليه و لانراه و من هنا يضمن إحساسنا بالعالم[1]

يستمد الخيال قوته من عنصرين رئيسين :أولهما الرصيد المختزل في العقل من المحسوسات والتجارب و ثانيهما العاطفة أو الوجدان الذي يتحكم في هذا الرصيد و يسيطر عليه .و الشاعر الكبير هو الذي يملأ جوابه بهذين العنصرين و تقوم الصورة الشعرية على الخيال الذي ينقل الأشياء من ركامها الحسي. إلى عالم جديد ،أو يؤلف بين الأشياء المتباعدة أو يبعث الحياة في ما لايعقل [2]

ومن ذلك قول المتنبي و هو يصف لنا بحيرة طبرية:

لولَاكَ لم أترُكْ البُحْيرة و الغُورُ دافئ و مَاؤها شبْم
و الموْجُ مثْلَ الفُحُول مزبَدَة تهْدُر فيْها و مَابهَا فَطم
و الَطَيُر فَوقَ الخَبَاب تَحسُبها فرسَان بلق تخُونهَا اللَجَم
كَأنَّها و الرياَحُ تضْربُها جَيشًا وغى في هَازم و مُنهَزمُ
كَأنَّها في نَهارهَا قَمَر حَفَ به من جنَانها ظُلَمُ[3]

فقد شبه الشاعر الموج بفصول الإبل و هي تهدر مندفعة .إذ تثور بها رغبتها ثم عامد إلى استقصاء الصورة فوصف طير الماء وقد احتلى الزبد الأبيض مثل فرسان يمتطون الصهوات جيادهم البيض. و لم يكتف بذلك فقال :كأن الرياح التي تهب و تؤثر في حركة الأمواج جيشان يقتتلان ثم عمد إلى الاستقصاء فقال:إن المعركة تتجلى عن فريق منتصر و آخر منهزم .

[1]- تذوق النص الأدبي، سامي يوسف أبو زيد.ص:101
[2]- المرجع نفسه،الصفحة نفسها.
[3] -ديوان المتنبي.، المتنبي ج.4الشرح عبد الرحمان البرقوقي.دار الكتاب العربي لبنان، دط، 1980، ص:187-188.

2-الصور البلاغية:

التشبيه:التشبيه مسلك بياني كثر وروده في أشعار العرب منذ العصر الجاهلي و له داخل النص روعة و جمال يدركها المتلقي في سياق النص الأدبي ،و هو يقوم على إخراج الخفي إلى الجلي و إدناء البعيد إلى'القريب'وزيادة رفعة المعاني و إبرازها و إيضاحها وإكسابها مزية و فضلا لا يكونان بها لولاه، فالتشبيه يقوم على إرادة المبدع إثبات صفة من صفات الموصوف ما مع زيادة إيضاح أو'مبالغة،فيغمد حينئذ إلى شيء آخر تتضح فيه هذه الصفة و تكون بارزة جلية،و يعقد بين هذين الشيئين مماثلة تكون وسيلة لإيضاح الصفة و المبالغة في إثباتها [1]قول القزويني "و إذا قد عرفت معنى التشبيه في الاصطلاح فاعلم انه مما اتفق العقلاء على شرف قدره و فخامة أمره في فن البلاغة و أن تعقيب المعاني به يضاعف قواها في تحريك النفوس إلى المقصود بها مدحا كانت أو ذما أو افتخارا"[2]

-هو أسلوب يدل على أن أحد الشيئين يسد مسد الأخر الحس أو'العقل ،و غرضه إخراج العبارة من الغموض إلى الوضوح و الإظهار ليكتسب بيانا و توكيدا و إيجازا كقول المتنبي في أبيات من قصيدته "السيفيات" التي تضمن عدة صور للتشبيه.

يقول المتنبي :[3]

و كَانَ بها مثْلَ الجُنونُ فأصْبَحَت و من جُثَث القَتلَى عَلَيْهَا تمائمُ

شبه الشاعر القلعة الحمراء التي بناها سيف الدولة في حلب، بإنسان مسه الجنون ووجه الشبه بينهما هو حالة الاضطراب و الفزع. إذ الجنون يجعل صاحبه يعيش على وقع الاهتزاز و الفزع، وكذلك حال القلعة الحمراء التي صارت بفعل كثرة القتلى و الدم كأن بها مس.و جعل الشاعر التمائم معلقة على أسرار القلعة حيث شبه القتلى الموجودين بحاشية القلعة بالتمائم معلقة على صدر المجنون يرجى شفاءه.في هذا التشبيه صورة حسية لا يعرفها المتلقي و هي حال القتلى بالقلعة. بصورة حسية يعرفها المتلقي و هي مجنون عليه تمائم و بهذا فهو تشبيه تمثيلي.

[1]- علم البيان و بلاغة التشبيه في المعلقات السبع –دراسة بلاغية-مختار عطية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر،الإسكندرية، ص:27.
[2]- الإيضاح في علوم البلاغة ،القزويني،دار الكتب العلمية ،بيروت ،دت،ص:821.
[3]- ديوان المتنبي، المتنبي ،ج3،ص:378 و ما بعدها.

و قوله كذلك:[1]

أتَوكَ يجُرونَ الحَديْدَ كأنَّما. سَرُوا بحَياد ما لهُنَ قوائمُ.

حيث يشبه المتنبي في هذا البيت جيش الروم و كثرة الحديد عليه و على خيلهم، كأنهم يسيرون بحياد ليس لها قوائم، نظرا لكون الأسلحة قد حجبتها عن الرؤية و لم تعد تظهر.

قوله:

إذا بَرقُوا لم تَعْرفْ البيْضَ منهُم ثيَابهُم من مثْلهَا و العَمَائمُ

يقصد المتنبي في هذا البيت جيش الروم و ما عليهم من بريق و لمعان ،بحيث لم يعد يفرق بينهم و بين سيوفهم ،فثيابهم دروع و رؤوسهم بيض. و هنا شبه الشاعر عمائم الجيش بالسيوف و بالتالي فهو تشبيه مجمل لأن وجه الشبه محذوف.

قوله:

وقَفَتُ ومَافي الموْتَ شَكٌ لواقَفُ كأَنَّك في جَفَن الردَى و هُو نائمُ .

يصور لنا الشاعر قوة الممدوح "سيف الدولة" و فروسيته و شجاعته في الحرب حيث شبه سيف الدولة بفارس في معركة القتال. إذ الموت اقرب إليه من حبل الوريد بوقوفه بجفن الموت، و الموت نائم لا يقربه. و التشبيه هو تشبيه تمثيلي، أي تشبيه صورة بصورة"سيف الدولة" و القتال و المعركة"سيف الدولة و الموت النائم".

قوله:[2]

إذا زلقَتْ مَشْيَتهَا بُبطُونُها كَمَا تَتَمشَى في الصَعيد الأرَاقم.

وصف لنا الشاعر في هذا البيت صعوبة صعود الخيل إلى الجبل، بانزلاقها مما جعلها تمشي على بطونها، و قد شبه الشاعر الطيور آكلة جثث العدو بمشية الأراقم في الصعيد، فكانت الأداة هي "كما" ووجه الشبه محذوف و هذا هو التشبيه المجمل.

و قوله:

و لَسْتُ مَليكًا هَازماً لنُطَيرَهُ و لَكنَكَ التَوحيدَ للشْرك هَازمُ.

[1]- ديوان المتنبي، المتنبي،ص:378.
[2] - المصدر نفسه،ص:379.

و معنى البيت أن العبرة ليست أن الملك هزم العدو، و إنما الإسلام هزم الكفر و الشرك و هنا شبه الشاعر الممدوح بالتوحيد و الإسلام و العدو بالكفر و الشرك و هو تشبيه تمثيلي بهزم سيف الدولة أعداءه بهزم التوحيد للشرك و بغياب الأداة ووجه الشبه يعتبر تشبيها بليغا.

و قوله:

نثَرتَهُمْ فوقَ الأحْدَبُ كُلُّه كَماَ نثَرتْ فوقَ العَروُس الدَراهمُ.[1]

و معناه أن جيوش سيف الدولة تركوا جيوش العدو القتلى، متفرقين فوق جبل كما نثرهم نثر الدراهم على العروس، و هنا شبه الشاعر تفرق و نثر جثث العدو بتفرق و نثر الدراهم على العروس.

[1] - ديوان المتنبي، المتنبي،ص:379.

الكناية:

أخذت الكناية نصيبها من شعر أبي الطيب المتنبي و قد أولى لها اهتماما كبيرا وواضحا و كل هذا "له دلالة كبرى و أثر على مستواها الفني" [1] كما تنوعت كنايات المتنبي بحسب الأغراض حيث نجد منها:

كنايات قالها في الغزل كقوله:

فذُقْتُ مَاء حَيَاتي منْ مَقلَبها. لو صَابَ ثرَيا لاحيا سَالفُ الأمَم.

و هي كناية كن بها المتنبي من متعته الفريدة بالقبلة التي أخذها من حبيبته و من كنايات المديح التي اشتهر بها المتنبي"المديح في الشعر مدحان: مدح الذات(الفقر)، و مدح الآخر، و المتنبي شاعر مدح الآخر، كما هو شاعر مدح الذات"[2]

كما نجده في قوله في مدح سيف الدولة:

فلَمَا رأَوهُ وحْدَه قبْلَ جَيشه. درَوا أن كَلَ العَالمين فُضُولُ

و هي كناية عن بهاء و طلعة "سيف الدولة" و جمال مشيته بالإضافة إلى الهيبة التي يراها أي شخص في شخصية سيف الدولة أو هي كناية في مدح الأخر.

و قال أيضا في مدح نفسه :[3]

و ما الدَهْرُ إلا من رُوَاة قلَائدُي. إذَا قلَتْ شعْرا أصْبَح الدَهْرُ مُشَيَدا

و في البيت كناية عن قوة و مكانة شعره بين قائلي الشعر و هي كناية في مدح الذات.

كنايات في الهجاء: أخذت هذه الكنايات خطا وافرا من شعر المتنبي" و الهجاء كناية عن التعصب و صورة للقبح داخل الذات، أو فيما حوله، و الفنان مؤشر سريع للاهتزاز"[1]

[1]- الصورة الفنية في شعر المتنبي - الكناية و التعريض- ، منير سلطان منشاة المعارف، الإسكندرية، ط4'2006.ص:41
[2]- المرجع نفسه ،ص 131.
[3]- المرجع نفسه ،ص141.

و من أمثلة ذلك نجد قوله في "ابن كروس":

و عناكَ مُسَالَة و طيْشُكَ نفْخَة. و رضَاكَ فيْشلَه و رَبُّكَ و رحم

التعريض: و هو أسلوب " له خصوصية ليست للكناية و لا للمجاز أو التشبيه ألا وهي أنه على معنى واحد مشترك بين المرسل و المتلقي، على المرسل أن يحسن العرض و على المتلقي أن يحسن الفهم"[2]

كقوله في مدح "سيف الدولة":

خُذُوا ما أتاكُم به و اعْذُرُوا فإنَّ الغنَيمَة في العَاجل

و إنْ كَانَ أعْجَبَكُم عَامُكُم. فَعُودُوا إلى حمصْ في قَابل.

و في هذين البيتين تعريض بهزيمة ألحقها سيف الدولة بالخارجي في جمعه.

السجع: اهتم المتنبي بالسجع ذلك من اجل " أن يحقق تناغما صوتيا أو صرفيا يأمل به لربط التراكيب بالصور بالإيقاع ليظفر في النهاية بعبارة فنية"[3]

و من أمثلة ذلك قوله في نفسه:

أتَوكَ من عَبيد و من عرْضه. منْ حُكْم العَبْد على نفْسه

السجع في هذا البيت نجده بين كلمتي"عرضه" و "نفسه"

المجاز: ورد المجاز في شعر أبي الطيب في العديد من الأبيات منها رائعة المتنبي التي وصف فيها الحمى:[4]

و زَائرَتي كَأنَّ بهَا حيَاء. فليسَ تَزوُر إلا في الظَلام

بذَلْتُ لها في المطَارف و الحَشَايَا. فعَافتْها، و بَاتَتْ في عظَامي

يضيْقُ الجلدُ عن نفْس و عَنْها. فتوُسعُه بأنْواع السقام

[1]- الصورة الفنية في شعر المتنبي، الكناية و التعريض، منير سلطان، ص: 45.
[2]- الرجع نفسه ،ص:277.
[3]- المرجع نفسه ،ص:283.
[4]- الصورة الفنية في شعر المتنبي –المجاز-منير السلطان ،منشاة المعارف ،الإسكندرية ،ص :128.

إذا ما َفارَقتْني غَسلتني. كأنَّا عَاكفَان علَتي حرام

كأَنَّ الصُبْح يَطرُدهَا فتَجْري. مدَامعُها بأربَعَة سجَام

أُراقبُ وقتَها من غير شَوْق. مُراقَبة المشُوق المسْهَام

و يُصَدقُ وعْدَهَا و الصدقُ شَرُ. إذا أَلقاكَ في الكَرب العظَام

أَنبْتَ الَدهْرَ عنْدي كُلَ بنت. فكَيْفَ وصَلَتْ أنْتَ من الزحَام .

فالشاعر هنا يتكلم عن مرض الحمى، فيتصور أنها فتاة أحلامه التي تزوره طيفها في النوم، و هو هنا لم يشبه الحمى بالطيف الزائر، حذف كلمة الحمى و ابقي على كلمة الطيف الزائر.

يقول أيضا:[1]

تبْكي علَي الأنصل الخُمودُ إذا انْذَرَها انَّه يجردُها

لعلْمهَا أنَّها تَصير دَما و انَّه في الرقاب يغْمُدها

و يقول أيضا:[2]

و الطَعْن شَزَر و الأرْضُ وَاجفَة. كأَنَّمَا في فُؤادهَا وهَل

قد صَبغتْ خَدَها كَما يصْبغُ خد الخَريدَة الخَجَل

فالشاعر هنا يصف الأحوال التي تبعت المعركة من تساقط للرؤوس و الدماء المتطايرة، ويأتي المجاز هنا ليجعل من الأرض خدا، ذلك الجانب الأملس الذي داسته سنابل الخيل. لأنه يذكره نجد الفتاة الأملس الخجل.

و من الصور المجازية كذلك التي يفتخر فيها بنفسه قوله:[3]

يا أعْدَلَ النَّاس إلا في مُعَامَلتيْ. فيكَ الخصَامُ و أنْتَ الخَصْمُ والحكَمُ

[1]- المرجع نفسه ،ص:250.
[2]- الصورة الفنية في شعر المتنبي –المجاز-منير السلطان ،منشاة المعارف ،الإسكندرية ،ص248.
[3]- الصورة الفنية في شعر المتنبي ,منير سلطان،ص215-216.

أُعيْدُهَا نَظَرات منكَ صَادَقةً. أن تَحسبَ الشَحمَ فيمَنْ شَحْمهُ ورَمُ

و مَا انتفَاعُ أخَي الدُنياَ بنَاظره. إذا استَوتْ عندَ الأنوَار و الظُلْمُ

أنَا الذي نَظَرَ الأعْمَى إلى أدَبي. و أسْمعْت كَلمَاتي مَنْ به صَمَمُ

أنَامُ ملء جُفُوني عَن شَوا ردهَا. و يسْهَرُ الخَلْقُ جَراهَا و يختَصمُ

و جَاهلُ مَدَهُ في جَهْله ضَحْكيْ. حتى أتتْه يد فرَاسُه و فَمُ

و هي أبيات بالمجاز كقوله في البيت الثاني"الشحم" و هي لفظة استخدمها مجازا لغته وموهبته وأيضا ليعبر عن كذب و نفاق أعدائه، قوله أيضا في البيت الرابع في قوله"الأعمى" و"الأصم" وهي مجازان صارمان مصوران في إيجاز و إحاطة كل ما يريد المتنبي قوله و زيادة، و غيرها.

3-الألفاظ و المعاني في شعر المتنبي:

تميز المتنبي عن غيره من الشعراء بشاعريته و التي اقرها بأكثر الحضرمي الذي قال عنه:[1] "و اسم الله، لقد أفحم أبو الطيب البلغاء بعقد الحكم و اعجز، و اخذ عليهم الرهان في قصبات السيف و أحرز، و لو لم يكن له إلا ذلك و إرساله المثل، لكفاه و لتقدم به على كل من سواه، و كيف و هو معدن الأدب الذي يستخرج نضاره، و سراجه الذي تقيس منه أنواره و سلطان الأدباء الذي خفقت عليه في الفصاحة بنود الامامه و مما لا شك فيه إن أبا الطيب المتنبي قد بدع في فن الحكمة فحمل الكلمات ثقل المعاني و شدته وحدة البيت فأقام عليها البناء و غير أن البناء عنده لم يكن مجردا بل كان بناء مرصعا بالدر الذي يملك لفظة فتفوق بذلك على شعراء الحكمة الذين كانوا قبله أو جاؤوا بعده نضيف إلى ذلك إن هذه الحكم بما أتاها المتنبي من جودة الصوغ و قوة المعنى قد جعلت شهرته تطبق الأفاق، و فرضت احترامه على الخصوم قبل الأنصار".

[1]- تنبيه الأديب على المباشر أبي الطيب من الحسن و المعيب،باكثير الحضرمي ،تح:رشيد عبد الرحمان صالح ،طبعة دار الحرية للطباعة ، بغداد، 1976 ،ص:36 .

و ما عرف عن المتنبي هو طبيعة لغته لثورية و امتلاكه لناحية اللغة، فقد سمح لنفسه بإنشاء مظاهر من الصوغ و التراكيب حتى و لو خالفت ما ورد عن العرب، فيطوع اللغة لشعره حتى و لو كان ذلك على حساب القاعدة المألوفة، و إنما يفعل ذلك إيفادا للمعنى الذي يقصده و يعبر بصدق عما يشعر به و يراه و لو كلغة ذلك الخروج على العرف اللغوي في استخدام الألفاظ و التعامل مع الكلمات و التراكيب فهو طائع لغته، و لو كلغته هذه الطاعة اللحن و الخطأ، يذكر ما يريد من معان و لو خفيت عن الآخرين و حيرتهم في البحث عنها، مما جعل لشعره مذاقا خاصا متميزا، و كان سببا في شغل الآخرين من الدارسين شعره و ما فيه من سقطات و من سرقات و من أبرزهم:

القاضي الجرجاني في وساطته، الحاتمي في الموضحة، و الصاحب بن عباد في الكشف عن مادته، الثعالبي في اليتيمة، العميدي في الإبانة عن سرقاته، و الواحدي في شرحه و العكبري في شرحه أيضا"[1]

و قد تميز شعر المتنبي بالا عزاب و التعقيد اللفظي و المعنوي و قد صرح بذلك قائلا:

أنامُ ملَء جُفُوني عَن شَوا ردَها. و يَسْهَرُ الخلْقُ جَراهَا و يخْتصمُ

و هذه السهولة التي اعترت شعره في صباه لم تكن سطحية ساذجة بل كان شعره مطبوعا بالجزالة و القوة لفظا و تركيبا مع ميله إلى التقليد في المبنى و المعنى كقوله:

لكَ يا مَنازلُ في القُلوُب منَازلَ. أقْفَرتَ أنتَ و هُنَ منك أواهلُ

و قد جنح المتنبي فيما بعد إلى اللفظ الشاذ و الغريب الحوشي في القول راجع إلى إشرافه مقدرته اللغوية تعجيزا للعلماء. خاصة علماء اللغة و تقليدا للشعر الجاهلي لناحية اللغة و ليس الشعر. وقد كانت نشأة الشاعر بالبادية و تعلقه بالعيش فيها كان له الأثر العميق في إدراكه الجيد لحدود الحوشي و الغريب من الألفاظ و حفظه الشعر العربي و روائعه و مجالسته للثوار و نقاده و العلماء به. لم تكن تغيب عن

[1]- شعر المتبني دراسة فنية، مصطفى أبو العلا، مكتبة نهضة الشرق ا لقاهرة،دت،1976م ،ص :245.

ذهنه حدود الفصاحة و شروط البلاغة، و بين استعمال المتنبي للحوشي الغريب عن الألفاظ و مؤاخذته على أبي تمام الاغرا ب في شعره و تكرار الألفاظ في البيت الواحد و لعل معايشته المتنبي في صباه لهذا الغريب و الوحشي من الألفاظ في الشعر الجاهلي و درسه واستظهره فأصبح من دعائم ثقافته الأدبية و اللغوية و هذا ما يبدوا من خلال استعماله لكلمة "مخشلب" في بيته القائل:

بيَاضُ وجْه يرُيكَ الشَمْسَ حَالكَة و دُرُ لفْظ يُريكَ الدُرُ مخَشْلَبا

و قد قيل مخشلبا ليس من كلام العرب فقال أبو الطيب هي كلمة عربية فصيحة و قد ذكرها العجاج[1].

فالمتنبي قد تلقى تربية بدوية قحة و قد أكسبته رحلته إلى البادية و التطواف بين أرجائها إلى جانب ما أخذه من مجالسة أهل العلم و اللغة، ثروة لغوية و فصاحة في التعبير كانت عدته من قول الشاعر و من مجاراة أهل العلم و الأدب[2] و قد ظهرت بداوته في ألفاظ شدة و معانيه منذ شبابه ولعله أراد بذلك أن يظهر قدرته الشاعرية و أن يبين مدى المكانة التي وصل إليها في فرض الشعر و انه أصبح يوظف ألفاظ قد يعجز عن فهم معانيها علماء اللغة و في هذا السياق يعلق العميدي على قول المتنبي: [3]

و عنْدَهَا لتَطْعَمُ الموتَ شَاربَهُ. إن المَنيَة عنْد الذُل قنديْدُ

بقوله إن المتنبي قد أنصف في إبدال المدام بالقنديد ليعد بسبب هذه الفصاحة في شعراء الجاهلية، عند استعماله الألفاظ الغريبة، و القنديد نبيذ يعمل من القند و ذكر في اشتقاق أسماء الخمر شرفها.

و قد عرف شاعرنا ب: "حسن اختيار الألفاظ حتى أن القارئ لشعره يعجز أن يدل كلمة واحدة منه بما هو غير منها"[4].

---

[1]- الوساطة بين المتبني و خصومه ،القاضي الجرجاني ،تحق :محمد إبراهيم أبي الفضل ،علي محمد البجاوي مطبعة عين الباي، ط1966،4، ص461.

[2]- خزانة الأدب،ج2ص:347.

[3] - الإبانة عن سرقات المتنبي ،أبو بعده لمرين احمد بن احمد العميدي ،تح:إبراهيم الدسوقي، دار المعارف القاهرة، ط1 ، 1996 ، ص: 81.

[4]- المتنبي ،أمة في رجل ، خليل شرف الدين، دار مكتبة الهلال، بيروت، دط، دت، ص:06.

كما أخذ بعدا جديدا فيه"الكلمة أو الصورة عند المتنبي لم تعد عادية باردة، متنوعة بمهارة في بديع اللغة، أي من الخارج.... أصبحت ما يمكن أن تسميه: الكلمة- المفاجأة... الطالعة...تهز، تقهر، تزعج.....النائمين في كهوغ الحذر و الموت" [1]

هذه الألفاظ أدت بالمتنبي يأخذ وزن و مكانة بين شعراء عصره'حيث.كان ممتلئا بكلمته. .. وكلمته ممتلئة به...لا فرق أن تراه ،أو تسمعه، أو تقراه"[2]

و قد اهتم المتنبي بالكلمة كونها "أقوى عناصر الجمال في الشعر هو الموسيقى الكلامية لأنها طريق تسمو بالروح، و أعظم سبيل للإيحاء ، و التعبير عما يعجز التعبير عنه" [3]

و هذا الاهتمام لم يكن على حساب المعاني لان المتنبي كان اهتمامه بالمعاني قبل الألفاظ أدائه منحى"و ممن يطلبون صحة المعنى، و لا يبالون أحيانا، حيث وقع من هجنة اللفظ و قبحه وخشونته"[4] و هكذا كانت ألفاظ المتنبي منتقاة بعناية لكي تناسب شعره الذي أراد به بلوغ ما لم يستطع بلوغه من مكانة سياسية و اجتماعية في مجتمع كانت فيه السيادة لأصحاب المال و النسب الشريف و القدير و الراقي

- و إذا أردنا إيجاز القول في لغة المتنبي الشعرية و خصائصها ، قد لا نجد أفضل مما ورد عن ابن جين و طه حسين ذلك أن حكمي هذين الأدبيين يجمعان كل واحدة على حدى بين الصدق والقسوة وهذا اقرب إلى ما ورد عن طه حسين في قوله :" أن المتنبي لم يحفل بقواعد اللغة ولا بقواعد النحو ،و إنما كان يطبع فنه ويرسل نفسه على سجيتها يستدل النحو و اللغة و يعرض كما قد يكون من غضب النحويين أو رضاهم "[5]

و في هذا فالثابت عن المتنبي انه كان يأتي بالشاذ و غير المألوف في قواعد النحو و اللغة ومن المعاني المستعلقة و التراكيب المبهمة ،التي كانت سبب في الكثير من

[1]- المرجع نفسه، ص 07.
[2]-المتنبي ،أمة في رجل ، خليل شرف الدين، ص08
[3]- النقد الأدبي الحديث ،محمد غنيمي هلال،دار العودة ،بيروت ،1982، ص306.
[4]- المرجع نفسه ،ص254.
[5]- مع المتنبي ، طه حسين ، دار المعارف ، القاهرة،ط2 ،1980،ص369.

الجدل و الخصام بين العلماء والنقاد فمنها ما كان في اللغة و ألفاظها و منها ما كان حول المعاني.

فثقافة المتنبي المختلفة و خاصة الفلسفة، فقد استطاع أن يصب نتائج عقله، فكره في القوالب و أشكال

و صور مذهلة للدخول في عالم الشعر و أن يحول فكره الفلسفي من أفق الفكر المجرد إلى عالم الخيال و الشعور و العاطفة ، و مهما يكن الأمر فان سر التأثير في الأدب عموما و الشعر خصوصا يمكن لا محالة في القدرة الأديب على استعمال الألفاظ ،و هي يحق وسيلة توصيل تجربة قابعة للخيال الذي لاحدود له و قدرته على تحريك خيال قرائه كقول المتنبي :[1]

و مَنْ طَلَبَ الفَتحَ الجَلِيْلَ فإنَّما مَفاتَيْحُه البيْضُ الخفَافُ الصَوارمُ

فكلمة "طلب " توحي بالتأمل والتدبر الحياة و أمورها ،فالفتح يتحقق من خلال إعداد العدة و اقتحام المخاطر و الشاعر هنا بين صلة المقدمة بالنتيجة عبر نقله خيالية جسدتها كلمة واحدة هي "البيض" و المراد بها السيوف. فهذا يعتمد التكثيف و التركيز و كلماته المعدودة طلب- الفتح- الصوارم تضغط على المعنى أنها تجعل الفكر مورقة مزدهرة، ضخمة.

و في وضع آخر يقول:[2]

و كَانَ ابْنًا عَدُوٌ كَاثرهُ. لهُ يَاءي حُروُفُ أنْسيَان

الملاحظة هنا هو استعمال المتنبي شاذ التصغير حيث صغر إنسان فلم يكثف بجعله أنسيان حسب القاعدة المطردة بل جعله أنسيان ، و في هذا السياق يقول ابن سيده و لم اعن أن ياء أينسيان الأخيرة من جوهر التصغير كيف يكون ذلك و هذه الياء خاصته اعني ياء أنيسان الأخيرة و ياء التصغير لا تكون أبدا إلا ثالثة و

[1]- التبيان في شرح الديوان ،العكبري ،ج3،ص: 188.
[2] - المصدر نفسه، ص:261 .

أينسيان من شاذ التصغير[1] و الحقيقة أن الشاعر قد أجاد في استخدام هذا الشاذ بل لقد استعمل هذا الشاذ في مكانه المناسب حيث يقصد في معناه الإضافة التي لا تضيف المضاف إليه إلا تحقيرا أو عجزا فجاءت كلمة "أينسيان" مقوية لمعنى التحقير، مؤثرة في الملتقى.

[1] شرح المشكل في شعر المتنبي، ابن سيده أبو لحسن علي بن إسماعيل، تح:مصطفى السقا محمد عبد المجيد، طبعة المعينة العامة للكتاب، القاهرة، دط، 1980، ص:30.

4-سرقات المعاني و إعادة تشكيلها:
-أراء العميدي في سرقات المتنبي:

كتب محمد بن احمد العميدي (ت433ه) في رسالة اسماها "الإبانة عن سرقات المتنبي " و لعل الذي دفع العميدي إلى كتابة رسالته هو ما شعر به من إعجاب الناس في البيئة المصرية بالمتنبي، فقد أقر المعجبون بأبي الطيب انه أشعر شاعر عرفته العربية، ففزع العميدي ،كما فزع ابن وكيع و من قبله إلى محاولة النيل من أبي الطيب و شعره فيحطه من درجة أبي تمام و البحتري و مسلم بن الوليد و ابن الرومي، و لعل سبب ذلك يعود إلى ما ذكره الحاتمي من أن المتنبي أنكر أبا تمام و البحتري و أنكر انه سمع بهما، و هذا ما جعله يحاول الحط من قدره يقول العميدي"و لولا انه كان يجحد فضائل من تقدمه من الشعراء، و ينكر حتى أسمائهم في محافل الرؤساء، و يزعم انه لا يعرف الطائيين، و هو على ديوانهما يغير، ولم يسمع بابن الرومي و هو من بعض أشعاره يمير....لكن الناس يغضون عن معايبه، و يغطون على مساويه و مثالبه" كانت تلك هي الأسباب التي من أجلها حاول العميدي الحط من قدر المتنبي.[1]

أما في حديثه عن سرقات المتنبي فتراه يعتقد أن المتنبي اطلع على دواوين الشعراء المكثرين فأخذ منها كل معنى جيد و إنما أعتمد على أشعار المكثرين لأن أشعار المقلين تعرف وتشتهر بسهولة لقلتها، فأخذ من المكثرين خفيت سرقاته.

ونراه يمعن في الكيد للمتنبي فيذكر أنه أخذ من شعراء مغمورين من أمثال "الخيزرازي" بل إنه يذكر أسماء شعراء لم يسمع بهم المتنبي نفسه. أما طريقته في تبيان السرقات فقد كان يأتي بسرقات تكاد تكون مطابقة في اللفظ و في ترتيب أجزاء المعنى الواحد و مثال ذلك:

1- **الناشئ**: و تجُسُ بالرفْق التُرابُ إذا مَشَتْ جَسُ الطَبيْبُ يَدُ العَلِيْلُ المدنَفُ

يقول المتنبي:

[1] - قضايا النقد القديم ،محمد صايل حمدان و آخرون، دار الأمل للنشر و التوزيع، الأردن ط1 ،1404هـ ، 1990م ص:95_96.

يَطَأ الثَرى مُترَفقَا من تيْهه فَكأَنَّهُ أسٍ يجسُ عليلاَ

2 -ناقد بن عطرد:

دَرُ الخَمْر تَسْلَمُ من عُيُوب كَثيَرة و إيَّاكَ أنْ تَرتاَدَ ما يُوْرَثُ الجهَادَ

فمَا عَاقلُ يَرضَى بإنْفَاق عقْلهِ على الخَمْر إنَّ الخَمْر تَسْتَلبُ الَعقْلا

المتنبي:

و أنَفْسُ ماَ في الفَتَى لبَئه و ذُو اللُب يَكْرهُ إنفَاقَهُ

3 مطيع بن اياس:

لوْ كَانَ للَسيْف عَقْلُ أو مُحاَفَظَة لما فرَى جيد جاَلية وصَاقلَهُ

المتنبي:

لَو حيْنَ الحفَاظ بغَير عَقْل تَجَنُبَ عنْقَ صَقْله الحُسَام

4 مروان بن سعيد:

إنَّ الجيَادَ عَرفْنَ مَعْهَدَ داَرهَا فَصَهَلن بأَكيَة على سُكَانهَا

المتنبي:

مَرَرْتُ على داَرَ الحبْيب فَحَمْحَمَتُ جَواديْ و هَل تَشْجُو الجيَادُ المعَاهدَ[1]

[1] - قضايا النقد القديم ،محمد صايل حمدان و آخرون، ص96.

ويسهل العميدي بعض المصطلحات لبيان أنواع السرقات منها النسخ و السلخ و مع أن العميدي حاول النيل من المتنبي إلا أنه لا يفكر أن المتنبي شاعر قدير يقول العميدي أن المتنبي من عمالقة الشعر العربي، فهو بطل من أبطال مأساة العظمة على مسرح الحياة "ملا الدنيا و شغل الناس " على حد قول ابن الرشيق، فانقسموا حول نثره بين مادح و قادح و حكم، فمن خصومه الصاحب بن عباد لان المتنبي أبى أن يزوره و لم يهتم به ة كذلك بن العميد قبل أن يمدحه المتنبي قال احد أصحاب ابن العميد" دخلت عليه يوما قبل أن يتصل به المتنبي، فوجدته واجدا و كانت قد ماتت أخته من قريب، فظننته واجدا لأجلها، فقلت:"لا يحزن الله الوزير فما الخبر" قال:" إنه ليغيظني أمر هذا المتنبي، و اجتهادي في أن اخمد ذكره، فقد ورد عن سيف وستون كتابا في التعزية ما منها إلا صدر بقوله:[1]

طَوَى الجَزيرَة حتَى جَاءَ في خَبر فَزعْتُ فيه بآمَالي إلى الكَذب

حَتى إذَا لم يَدَعْ لي صدْقَهُ أمَلاً شَرقْتُ بالدَمْع حتَى كادَ يَشرُقُ لي

فكيف السبيل إلى إخماد ذكره ؟؟،، فقلت له:"القدر لا يغالب و الرجل ذو حظ في إشاعة الذكر و اشتهار الاسم، فالأولى أن لا تشغل فكرك بهذا الأمر". و ألف الحاتمي رسالة في توارد المعاني بين المتنبي و أرسطو، و وفق القاضي الجرجاني موقفا عادلا فوضع كتابا سماه الوساطة بين المتنبي و خصوصه و قد أورد في هذا الكتاب للمتنبي و ما عليه، فوجد المتنبي نحومئة بيت سيف فيها شعراء العرب و حلق و نحو خمسمائة بيت يعجز عنها غير الشعراء الكبار و تكمن فيها شهرته و عظمته[2]

و قد عمد القاضي إلى معايير في نقده للسرقات وفرت له فرصة الدفاع عن المتنبي و قد كانت السرقات ابرز التهم التي وجهت إليه، و لم تكن هذه المعايير من إنتاج فكر الجرجاني و إن توسع فيها و أفاض و جعلها مقنعة. فكانت تلك فضيلة تذكر إليه.

[1]- تاريخ و عصور الأدب الجاهلي، احمد فاضل، ص388.
[2]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

"في تحويل نقد السرقات إلى منهجية علمية، قام أكثرها على الموازنة بين المعاني لإظهار تميز أبي الطيب"[1]

كما يرى القاضي الجرجاني أن أسبقية القديم إلى المعنى، هي التي تؤسس مفهوم الرقة أي أن السابق زمنا هو الأصل أو هو القائل الأول و من ثم فهو المسروق و المتبوع و المأخوذ منه إما اللاحق فهو الفرع، و هو التالي، فهو يقول:" ومتى أنصفت علمت لن أهل عصرنا ثم العصر الذي بعدنا اقرب فيه إلى المعذرة و ابعد من المذمة لان من تقدمنا قد استغرق المعاني و سبق إليها و أتى على معظمها"[2]

فالجرجاني يرى حق الشاعر التأثر بمعاني غيره من الشعراء شرط أن ينطوي هذا التأثر على الزيادة البديعية المحسنة للمعنى نحو قول احمد بن طاهر:

و أبوْهُمْ أبَو الضَائعُ عنْدي حيْنَ اعَتدَ بالضَائعُ عنْدي

و قال أبو الطيب:

فَكَمْ وْ كَمْ نعْمَة مُحَللَةُ ربيْتُهَا كَانَ منكَ مَولدُهَا

فاخذ الولادة و زاد فيها (ربيتها)، و هو حسن

وقد انفرد المتنبي في توظيف ملامحه الفنية و معارفه و معانيه بطابعه الخاص حتى و إن بدت أنها مأخوذة من غيره ليس بالدخل فقط و إنما بالجمع بين أكثر من عنصر في التوظيف الواحد، و قد أجاز الجرجاني للشاعر أن ينقل المعنى من غرض إلى أخر لان هذا النقل للمعنى من شانه أن يوجد نوعا من الطاقة و الجدة عن المعنى تبعث النشاط في نفس المتلقي كقول الشاعر

أتَيْتَ فؤَادَهَا أشْكُو إليْه فَلَم أَخْلُصُ إليه منَ الزحَام

و قال أبو الطيب و هو منقولا إلى معنى أخر:

أنبْتَ الدَهْرَ عنْديْ كُلَ بنْت فَكَيفَ وصَلَت أنْتَ من الزحَام[3]

[1]- المعنى في النقد العربي القديم، حسين لغته حافظ، دار صفاء للنشر و التوزيع عمان، ط1، 1435ه_2014م، ص248
[2]- المرجع نفسه، الصفحة 58.
[3]- المعنى في النقد العربي القديم، حسين لفته حافظ، ص 259

فالمتنبي قد فاق المعنى السابق الذي أخذه لذا فهو أولى به لان الأمر قد خرج من يد الشاعر الأول إلى الثاني الذي أضاف معنى جديدا إلى المعنى السابق فضلا عن إخراجه إخراجا جيدا يفوق صاحبه و هذه لغته بارعة تحسب له و هو دليل نبوغه و تفوقه الشعري.

رأي القاضي الجرجاني في سرقات المتنبي من خلال كتابه "الوساطة": من استعراضنا لآراء بعض النقاد حول سرقات المتنبي، يمكن القول أن الجو كان صالحا لظهور كتاب الوساطة، و كان الهدف من هذا الكتاب هو التوفيق بين أنصار المتنبي و معارضيه، على أن مايهمنا في هذا المجال رأي القاضي الجرجاني في سرقات المتنبي.

لعل الناظر في كتاب "الوساطة" يدرك أن الجرجاني اعتمد أراء الامدي في هذه المشكلة، إلا أن القاضي الجرجاني طور هذه الآراء وأمعن التدقيق و التحليل فيها، فقد ذهب إلى أن المعاني المشتركة بين الناس لا يعد تداولها سرقة، كما أن التشابه في الألفاظ ليس من السرقة في شيء و على هذين المبدأين رد الامدي كثيرا من السرقات، و يميل الجرجاني إلى الاعتذار عن المتأخرين لان المتقدمين استغرقوا المعاني، و على هذا الأساس قال الجرجاني :"و لهذا السبب اخطر على نفسي و لا أرى لغيري بت الحكم على شاعر بالسرقة، ووضع الجرجاني مقياسا لمن يحق له الحكم بسرقة شاعر عن أخر، فهو يرى أن هذا لا يتحقق إلا لجهابذة اللغة و نفاذ الشعر الذين يستطيعون " أن يميزوا بين السرق و الغصب و الإغارة، و الاختلاس و الإلمام، و الملاحظة و المشترك الذي لا يجوز ادعاء السرقة فيه، و المتبدل الذي ليس أحد أولى به، و بين المختفي الذي حازه المبتدئ فملكه، و أحياه السابق فاقتطعه، فصار المعتدي مختلسا و المشارك له محتد يا تابعا [1]

و جعل المشترك نوعين:

1_ نوع عام يعرفه كل الناس.

2_ نوع عام بعد تخصيص سبق إليه شاعر قديم كشبيه أثار الدار بالخط الدارس، ثم كثر تداوله حتى لم يعد يرد إلى أصل.

[1]- قضايا النقد القديم، محمد صايل حمدان و آخرون، دار الامل للنشر و التوزيع، الأردن،ط1، 1404هـ،1990م، ص91.

و قد يكون السرق باجتماع النقط و المعنى معا و نقل البيت أو المصراع، و هذا النوع يسمى "غصب" مثل ذلك قول لبيد:

و مَا الَمَال و الآهْلوُنَ إلا ودَائعُ و لابُدَ يوْمًا أنْ تُردَ الودَائعُ

و قول الأفوه:

أمَا نعْمَةُ قَوْم مُتعَة و حَيَاةُ المرْء ثَوبٌ مُسْتَعَار

و يرى الجرجاني أن الشاعر قد يتضمن في السرقة فينتقل المعنى من التشبيه إلى الفخر، و قد يعدل عن الوزن و القافية كقول بشار:

خَلقْتُ على ما في غَيْر مخَيرُ هَوَاي و لَو خيْرتَ كُنْتَ المهْدَبا

يقول أبي تمام:

فلَوْ صَوَرتَ نفْسَكَ لم نَشرَحْهَا على مَا فيْكَ من كَرم الطبآَع[1]

و يتتبع الجرجاني أنواع السرقات فيتحدث عن قلب المعنى و نقضه، و يرى إن هذه الأنواع لا يستطيع الكشف عنها إلا الناقد البصير، فحظر الجرجاني على نفسه و على غيره البت في هذا الموضوع، و قد يكون هذا الموقف الذي اتخذه القاضي الجرجاني متأثرا من عمله فهو قاضي لا يستطيع الحكم إلا إذا توافرت أدلة، كذا تراه يكتفي بالقول:

"قال فلان كذا و قد سبقه إليه فلان فقال كذا، فاغتنم به فضيلة الصدق أو سلم من اقتحام التهور"

و عند حديثه عن سرقات المتنبي يضع الجرجاني نصب عينيه دراسات السابقين لسرقات الشعراء، و يخص بالذكر أبا نواس و ما كتب المهلهل بن يموت من بحوث عن سرقات أبي نواس، و أبا الضياء بن تميم و ما كتب في سرقات البحتري و احمد بن طاهر و ما كتب في سرقات أبي تمام و نراه يقسم السرقة إلى سرقة معاني و سرقة ألفاظ، و يضع كلا منها على درجات و يتبع منهج الأمدي كما سبق و أن أسلفنا، و لكنه يزيد عليه عندما قرر أن المعاني المشتركة المتداولة

[1] ـ قضايا النقد القديم، محمد صايل حمدان و آخرون

قد يفوق فيها شاعر شاعرا آخر، [1] و قد تفاضل متنازعوا هذه المعاني بحسب مراتبهم في العلم، فقد تشترك جماعة في معنى متداول و ينفرد احدهم بلفظ مستعذب، أو ترتيب يستحسن ، أو تأكيد يوضع موضعه، أو زيادة اهتدى إليها دون غيره فيزيل المشترك المبتذل في صورة المخترع و يضرب أمثلة على ذلك منها قول لبيد:

و حَلا السُيولُ عن الطُلُول كأَنّهَا زيْر تُجَسَدُ متُونَها أقلامُهَا

فادى إليك المعنى الذي تداوله الناس: قال امرؤ القيس:

لمنْ طَلَلُ أبْصَرتَه فشَجاَني كَخَط زبُر في عَيْب يمأَني

و يعلق على بيت لبيد بعد ذلك بقوله،"و بين بيت لبيد بيتها ما تراه من الفضل و هو يرى انه اخذ العام المشترك، و ابرز في صورة أحسن غير معيب بل كان فضل للشاعر و منه قول المتنبي:

فاسْتَعارَ الحَديْد لَوْنَا و ألْقَى لوْنُه ُفي ذَوائبُ الأطْفاَل

فهو و إن كان مأخوذا من قول العامة "هذا أمر يشيب الطفل" ، و كانت الشعراء تداولته وابتذلته ورث قراء فيها الزيادة المليحة و يبدي الجرجاني أن كثيرا من الشعراء يأخذون المعاني ويلبسونها على الناس، و يضرب مثلا على ذلك قول لبيد و قول الافوه الاودي المشار إليها سابقا، و قول البحتري:

و يخشى شباه و هو غير مسلط و قد يتوفى السيف و السيف في الغمد*

و قول المتنبي:[2]

[1]- قضايا النقد الأدبي، محمد صايل حمدان و آخرون، ص92
*- شبا السيف، حده
[2]- قضايا النقد الأدبي، محمد صايل حمدان و آخرون: ص:93.

تَهابُ سُوقُ الهند و هَي حَدَائدُ فَكَيْفَ إذا كَانْتْ نزَاريَة عَربَا

و يَرهَبُ نابَ اللَيْثُ و اللَيْثُ وحْدَهُ فَكَيفَ إذا كَانَ اللَيُوثُ لَهُ صَحْباَ

و يخْشَى عبابَ البَحْر و هَو مَكَانُه فكَيْفَ لمن يخْشَى البلادُ إذَا عبَا

و معنى هذه الأبيات الثلاثة واحد، و إن اختلفت المعارض و الأمثلة.

خاتمة

خاتمة:

تناول هذا البحث البناء الفني للقصيدة عند المتنبي بين النزعة العقلية والفنية فتوصلنا إلى مجموعة من النتائج هي:

-بداية عالجنا فيه بناء القصيدة العربية الجاهلية من حيث الموضوعات والأغراض من الغزل والهجاء والفخر وغيرها من الأغراض.

-أتت المقدمات الطللية عرفا وتقليدا واتخذه الشعراء الشاعر أمسى يشبه الطلل بأثر الإنسان، وهذا دال على إنتمائه إلى الحضارات الإنسانية القديمة.
-نجد في الشعر القديم جزالة التعبير، قوة اللغة، صدق التصوير وألفاظه سهلة بعيدة عن الغرابة، كما أستطاع الطلل أن يحتل مكانة خاصة في مطلع القصيدة الجاهلية، من الناحية الفنية.
-أما في العصر الإسلامي والأموي تطورت الأغراض، تطور المقدمة الدينية وظهور الشعر السياسي كعامل أساسي وغرض جديد في العصر الأموي مع شعراء النقائض، جرير، الفرزدق، الأخطل.
-تطور القصيدة العربية في العصر العباسي من حيث الناحية الفنية مما أدى إلى تمرد الشعراء على عمود الشعر.
ظهور النزعة العقلية في العصر العباسي وتأثر الشعراء بالثقافة الفكرية ومن بين هؤلاء الشعراء المتنبي الذي تميز بالحكمة والعقل .
شغف المتنبي وحبه للمطالعة والقراءة جعله متأثرا بالقراءة والفلسفة وأيضا بالحكمة اليونانية وغيرها من الثقافات الأمم الأخرى.
ظهور النزعة العقلية في العصر العباسي وتأثره بالفلسفة وأيضا الحكمة اليونانية وغيرها من ثقافات الأمم الأخرى.
يعد المتنبي شاعر الحكمة والعظمة فشعره متميز بالعقل فهو شاعر العامة والخاصة.
-قد تميزت معظم قصائد المتنبي بالمنطق التي لها صلة بالعقل والفكر مما جعله محافظا على هذا اللون في شعره، أما من ناحية الرؤية الفنية للقصيدة نجده أنه جمع بين العاطفة والعقل، لكن معظم أشعاره كانت مليئة بالحكمة.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

المصادر:

1. الإبانة عن سرقات المتنبي، احمد بن احمد العميدي، تح:إبراهيم الدسوقي، دار المعارف القاهرة، ط1 ، 1996 .
2. أخبار العلماء بأخبار الحكماء، القفطي.وزير جمال الدين أبو الحسن ،ببيروت،دار الأثار للطباعة والنشر ،دت .

3. أساس البلاغة، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، دار النفائس ، سوريا ، الطبعة الأولى ، 2009م.
4. الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد ابن عبد البر، تحقيق: علي محمد البخاري، طبع مكتبة، نهضة، مصر بالقاهرة
5. الأغاني، الأصفهاني أبو الفرج، علي بن الحسين بن حمد الأموي، طبع دار الكتب و الساسي، ط1،5
6. التبيان في شرح الديوان، ديوان أبي الطيب المتنبي، أبي البقاء العكبري، ج3، مطبعة الحلبي، القاهرة، 1956.
7. تنبيه الأديب على المباشر أبي الطيب من الحسن و المعيب،باكثير الحضرمي ،تح:قيقرشيد عبد الرحمان صالح ،طبعة دار الحرية للطباعة ، بغداد، 1976 .
8. الحيوان، أبو عمر بن بحر الجاحظ ، دار الكتاب العربي ، لبنان ، ج1، دط، دت.
9. خزانة الأدب،عبد القادر بن عمر البغدادي ،دار الشروق ،بيرووت ،دت..
10. ديوان أبو نواس الحسن ، أبو نواس ، تحقيق ،أحمد عبد المجيد الغزالي، بيروت، دت.
11. ديوان الحطيئة، تحقيق: نعمان أمين طه، شركة مكتبة و مطبعة مصطفى البابي الحلبي و أولاده، مصر 1958
12. ديوان المتنبي.، المتنبي ج.4الشرح عبد الرحمان البرقوقي.دار الكتاب العربي لبنان 1980.
13. ديوان بشار بن برد، بشار بن برد'تحقيق: الطاهربن عاشور، التأليف و الترجمة، مصر
14. ديوان تميم بن مقبل، تحقيق: عزة حسين، طبع وزارة الثقافة بدمشق، 1962
15. ديوان عبيد بن الأبرص- عبيد بن الأبرص حسين نصار، طبع مكتبة و مطبعة مصطفى البابي الحلبي، أولاده ، مصر 1957م
16. رسائل الجاحظ، الجاحظ، طبعة السندوبي، القاهرة،، دط، د ت.

17. شرح المشكل في شعر المتنبي، ابن سيده أبو لحسن علي بن إسماعيل، تحقيق:مصطفى السقا محمد عبد المجيد، طبعة المعينة العامة للكتاب، القاهرة، 1980.
18. شرح ديوان المتنبي ،عبد الرحمان البرقوقي، دار الكتاب العربي،بيروت،1986.
19. الصناعتين، الحسن بن عبد الله العسكري، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم و علي البجاوي، دار الكتب العربية القاهرة 1952
20. طبقات فحول الشعراء، ابن سلام الجمحي، محمد محمود شاكر، دار المعارف، مصر،دت.
21. العمدة في محاسن الشعر آدابه، ابن الرشيق القيرواني، محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، ط2، 1955م
22. عيون الأخبار، ابن قتيبة: أحمد محمود شاكر: ج 1.دار المعارف، القاهرة، ط2، 1966.
23. كليلة ودمنة، عبد الله بن المقفع، دار المعارف، القاهرة،دت.
24. لبيد بن ربيعة، تحقيق، إحسان عباس، طبع الكويت، 1962
25. لسان العرب، ابن منظور ،ج2، دار صادر ، لبنان ، الطبعة الأولى ، 2000م ،
26. المثل السائر ،ابن الأثير ،نشر:محمد محي الدين عبد الحميد ،طبعة بولاق،القاهرة،1939
27. مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمان ابن خلدون، دار الفكر للطباعة والنشر، لبنان، ط1، 1424ه-2004م.
28. الموشح، محمد بن عمار المزرباني، طبع المطبعة السلفية القاهرة، 1343 ه
29. الوساطة بين المتبني و خصومه ،القاضي الجرجاني ،تحق :محمد إبراهيم أبي الفضل ،علي محمد البجاوي مطبعة عين الباي،1966، ط4.

-المراجع:

1. أصول الفلسفة العربية، بوحنا قمير: منشورات المطبوعات الكاتوليكية، بيروت، 1967.

2. الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، دار الكتب العلمية ،بيروت ،دت.

3. تاريخ الرسل و الملوك، محمد بن جرير الطبري، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، طبع دار المعارف، بمصر

4. تاريخ وعصور الأدب الجاهلي، أحمد فاضل: دار الفكر اللبناني بيروت، لبنان، ط1، 2003م.

5. تذوق النص الأدبي، سامي يوسف أبو زيد، دار النصرة للنشرة والتوزيع، عمان، ط1 - 1433هـ-2012م.

6. الترجمة الشخصية، شوقي ضيف، فنون الأدب العربي، الفن القصص 3، دار المعارف، 1970.

7. تشكيل الخطاب الشعري، دراسات في الشعر الجاهلي، مرسي رباحة، دار الجديد، ط2، 2005م

8. ثقافة المتبني وأثرها في شعره، هدى الأرناؤوطي، دار الحرية للنشر والطباعة، بغداد .دت.

9. جواهر الكنز، محمد زغلول سلام ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، ج2 ، دت.

10.حديث الأربعاء، طه حسين،،دار المعارف،القاهرة ،1976..

11.حكمة ابي تمام ،محمد خلف الله أحمد ،مهرجان الشعر الثاني ،مجلس الفنون، القاهرة،دت.

12.حكمة المتنبي، ماجد جعفر، مجلة الأخلاق، عدد 4.،السنة13 جانفي 1978م.

13.الحكمة في شعر المتنبي، يسري سلامة، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط1، 2009 م.

14. الحياة الأدبية في العصر الجاهلي و صدر الاسلام، محمد عبد المنعم خفاجي، مكتبة الأزهر، مصر د/1، د ت.

15.دراسات عصور الأدب العربي، أنور حميد و قشوان، خوارزم العلمية بعمان ، الطبعة الأولى ، 1427ه-1428ه ، دراسات في عصور الأدب العربي .

16.دراسات في الشعر العباسي، صلاح مهدي الزبيري ، الأكاديميون ، عمان ، الأردن ، الطبعة الأولى 1435ه-2013م .

17.دراسات في الشعر العربي، عبد الرحمن شكري، جمعها حققها: محمد رجب البيومي، الدار المصرية اللبنانية.، دت.

18.دراسة تطور القصيدة العربية في العصر العباسي الأول، الجزائر، د ت.

19.سامي يوسف أبو زيد و منذر ديب كفافي في الأدب الجاهلي ، دار المسيرة ، عمان ، الطبعة الأولى ، -1432ه-2011 م.

20.شعر المتبني دراسة فنية، مصطفى أبو العلا، مكتبة نهضة الشرق، ا لقاهرة، 1976م .

21.شعراء الطبقة الأولى الجاهلية، إيمان محمد العبيدي ، دار دجلة بعمان ، الطبعة الأولى، 2014 .

22.الصورة الفنية في الأدب العربي، فايز داية، دار الفكر المعاصر ،بيروت، لبنان 1996.

23.الصورة الفنية في شعر المتنبي – المجاز - ، منير سلطان منشأة المعارف، الإسكندرية، ط 4، 2006.

24.الصورة الفنية في شعر المتنبي- التشبيه- ، منير سلطان منشأة المعارف، الإسكندرية، ط 4، 2006.

25.الصورة الفنية في شعر المتنبي –الكناية والتعريض-، منير سلطان منشاة المعارف، الإسكندرية، ط4، 2006.

26.ضحى الإسلام، أحمد أمين: ج1: دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، دت.

27.الطبيعة في الشعر العربي، فاضل بنيان محمد– دار غيداء - عمان ، الطبعة الأولى 2014 م – 1435ه

28.العصر العباسي الثاني، شوقي ضيف، دار المعارف، ط2، القاهرة، 1975.

29.علم البيان و بلاغة التشبيه في المعلقات السبع –دراسة بلاغية-مختار عطية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية.
30.علم البيان و بلاغة التشبيه في المعلقات السبع –دراسة بلاغية-مختار عطية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر،الإسكندرية
31.الفن و مذاهبه في الشعر العربي، شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة 1960، ط2.
32.الفن والأدب، عاصي مشال: منشورات المكتب التجاري، بيروت، 1970.
33.في الشعر الجاهلي، إبراهيم السنجلاوي ، المجلة العربية للعلوم الإنسانية ، جامعة الكويت المجلد السابع ، العدد 27 ، سنة 1987 .
34.قضايا النقد القديم ،محمد صايل حمدان و آخرون، دار الأمل للنشر و التوزيع، الأردن ط1 ،1404ه ، 1990م.
35.المتنبي ، امة في رجل ،خليل شرف الدين، دار مكتبة الهلال، بيروت، دت.
36.المتنبي بين ناقديه، شعيب محمد عبد الرحمن، دار المعارف، القاهرة، 1964.
37.المتنبي وشوقي دراسة ونقد وموازنة، عباس حسين: ط1، 1380ه1951م.
38.المجموعة الكاملة، هارون عبود، دار هارون عبود، بيروت ، دت.
39.مختار الشعر الجاهلي، مصطفى السقا، طبع شركة و مطبعة البابي الحلبي وأولاده، مصر ط2، 1948م.
40.مطالعات في الكتب و الحياة، عباس محمود العقاد: القاهرة ، 1343 ه
41. مع المتنبي ، طه حسين ، دار المعارف ، القاهرة،طح ،1980.
42.المعنى في النقد العربي القديم، حسين لفته حافظ، دار صفاء للنشر و التوزيع عمان، ط1، 1435ه_2014م
43.المعنى في النقد العربي القديم، حسين لفته حافظ، دار صفاء للنشر و التوزيع عمان، ط1، 1435ه_2014م.
44.مقدمة القصيدة العربية في الشعر الجاهلي، حسين عطوان، طبعة دار المعارف، مصر 1970م

45.مقدمة القصيدة العربية في العصر الأموي، حسين عطوان، دار المعارف،مصر،
46.مقدمة القصيدة العربية في العصر العباسي الأول، حسين عطوان ،دار المعارف، مصر
47.مقدمة القصيدة العربية في العصر العباسي الثاني،حسين عطوان ،دار المعارف، مصر، 1971.
48.ملامح يونانية في الأدب العربي، إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات للنشر، بيروت، 1977.
49.الموجز في الأدب العربي وتاريخه، حنا الفاخوري، دار الجيل، بيروت ،دت.
50.النقد الأدبي الحديث ،محمد غنيمي هلال، دار العودة ،بيروت ،1982.

فهرس
الموضوعات

الفهرس

شكر وعرفان

مقدمة

الفصل الأول بناء القصيدة العربية قديما 3

01- في العصر الجاهلي: 3
02-في صدر الإسلام:.....9
03-في العصر الأموي:.....18
04-في العصر العباسي: 28
الفصل الثاني النزعة العقلية في بناء القصيدة لدى المتنبي.....39
-ظهور النزعة العقلية وأثارها في العصر العباسي 39
-01تأثره بالفلسفة: 50
-02تأثره بالقياس و المنطق: 53
-03الثقافة الهندية: 56
-04تأثره بالثقافة اللغوية: 59
الفصل الثالث النزعة الفنية في بناء القصيدة لدى المتنبي.....66
1. الخيال. 66
2.الصور البلاغية.....66
3.الألفاظ و المعاني. 66
4.سرقات المعاني و إعادة تشكيلها. 66
-01مفهوم الصورة:.....66
-2الصور البلاغية: 69
-3الألفاظ و المعاني في شعر المتنبي:.....75
-4سرقات المعاني و إعادة تشكيلها: 81
خاتمة.....89
قائمة المصادر والمراجع.....91
قائمة المصادر والمراجع:.....91
فهرس الموضوعات 92